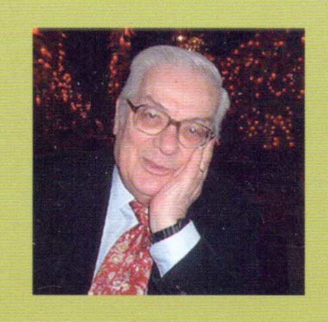
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

ماذا حدث للأرمن في الدولة العثمانية؟

تورك قايا آتا أوف

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



المؤلف:

الأستاذ الدكتور تورك قايا آتا أوف

حاصل على الوسام الذهبي الفخري من منظمة التقدم الدولية سنة ٢٠٠٥م.
أستاذ فخري في العلاقات الدولية. ومدير سابق لقسم العلاقات الدولية في جامعة أنقرة في تركيا.
عضو في المجلس التنفيذي للمنظمة الدولية للتخلص من جميع أشكال التمييز العرقي في جنيف.

الكتاب:

يعالج المؤلف في هذا الكتاب ما يعرف بـ"الإبادة الجماعية" للأرمن في ظل الدولة العثمانية. ويعتمد في ذلك على التحليل الموضوعي بناءً على ما يرويه الأرمن وعلى ما يرد في الأرشيف العثماني والمصادر البريطانية والأمريكية والروسية وغيرها. وقد فند ادعاءات الأرمن بوقوع تلك المجازر: حيث أشار إلى المبالغة في الأرقام وإلى التزييف الذي لجأوا إليه لحشد الرأي العام ضد العثمانيين. وقد حمَّلَ المؤلف الأرمن مسؤولية قرار الترحيل القسري الذي اتُّخذ ضدهم بعدما ارتكبوا مجازر بحق المسلمين في ولاية "وان" سنة ١٩١٥م. ويرى المؤلف أن النزعة النفسية بضرورة وجود عدو لدى الأرمن تسيطر على تحركاتهم هذه. كما ينسب الوفيات التي حدثت في صفوف الأرمن في أثناء التهجير إلى المرض وإلى هجمات قطاع الطرق عليهم. وليس إلى عملية إبادة منظمة قامت بها الدولة العثمانية. ويذكر المؤلف - اعتماداً على مصادر أرمنية - أن عدداً من المنظمات الأرمنية كان يسعى لإنشاء دولة أرمنية من وراء حربهم للعثمانيين. وقد كان ذلك مجرد حلم لم يقم على أساس. حيث لم يكن الأرمن يشكلون غالبية سكانية في أي من مناطق الأناضول.
ويرى المؤلف أن الدولة العثمانية تتحمل مسؤولية عدم توفير الحماية الكافية للأرمن في أثناء تهجيرهم. على الرغم من أنه أرجع ذلك إلى أسباب قاهرة خارجة عن إرادة الدولة التي كان جيشها يعاني أصلًا من سوء التغذية وغيرها من المصاعب. ويشير الكاتب في طيات الكتاب إلى أنه لا يوجد ما يسوغ قيام العثمانيين بإبادة للأرمن. حيث كانت العلاقة بينهما طويلة وأخوية. ورأى أن من مصلحة الطرفين قيام علاقة ودية بدل اللجوء إلى نبش الماضي.

ردمك: ٧ - ١٠ - ٨٠٣٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

ماذا حدث للأرمن
في الدولة العثمانية؟

ماذا حدث للأرمن في الدولة العثمانية؟

تورك قايا آتا أوف

أستاذ العلاقات الدولية

الرياض

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أوف، تورك قايا آتا

ماذا حدث للأرمن في الدولة العثمانية؟. / تورك قايا آتا أوف؛

ترجمة: درويش عبدالهادي. ـ الرياض، ١٤٣٠هـ

١٢٠ ص؛ ١٤,٥ × ٢٢,٥ سم

ردمك: ٧-١٠-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الأرمن - تاريخ - العصر العثماني ٢- مذبحة الأرمن

٣- الأرمن في تركيا أ. عبدالهادي، درويش (مترجم)

ب- العنوان

ديوي ٩٥٦,١٠٧ ١٤٣٠/٣٠٠٣

رقم الإيداع: ٣٠٠٣/١٤٣٠

ردمك: ٧-١٠-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

المملكة العربية السعودية

المحتويات

١- مقدمة

مضت أكثر من تسعة عقود على أحداث عام ١٩١٥م التي وقعت في بعض مناطق تركيا العثمانية. وخلال هذه الفترة، اختلطت وتضاريت الحقائق والروايات، التي كانت، في العادة، جدلية أو خلافية حول الحد الأدنى من وصف الظروف التي شوهت العلاقات بين الأرمن والأتراك. وانطلاقاً من هذه الخلفية، فإنني، وكما يقول كاتب كبير في اللغة الإنجليزية: "أستحضر ذكريات أشياء من الماضي"، وأتمنى أن أتعمق في مناقشة العقدة التالية:

ماذا حدث لأرمن الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها؟

من المؤكد أن درجة الشجاعة والتوازن والعلمية المطلوبة لتقديم إجابة محايدة عن هذا السؤال تُعَدُّ كبيرة. فالمتطلبات المسبقة للإجابة تستبعد الآراء الأحادية لبعض ـ وليس كل ـ الأطراف على كلا الجانبين، وهي أطراف يبدو أنها تفتقر إلى المنهج الواقعي اللازم لتقديم إجابة عادلة. فالجدل في هذا الموضوع معقد جداً؛ بحيث يصعب إجراء تحليلات سطحية له أو اتخاذ قرارات متسرعة من قبل هيئات سياسية مثل عدد من البرلمانات في العالم. فالسعي للانتقام من قبل أحد الأطراف لا يمكن أن يكون مثل السعي للعدل، ولاسيما عندما تكون القوة الدافعة وراء الجدل متمثلة بقسوة طرف يعمل ضمن مفهوم سياسة القوة.

فعلى العكس من كتابات مجموعة من الأفراد غير المنطقيين الذين يكتبون في العادة من أجل لقمة العيش، فإن مؤسسة حكم القانون وكل ما ينشأ عنها تتطلب معالجات غير قائمة على التمييز والانتقائية. فنادراً ما استطاعت "القضية الأرمنية" الاستفادة من استخدام الوسائل الموضوعية. وقد كان الطرح المتكرر المشبع بالمعلومات الخاطئة غير الموثوق بها كثيراً؛ وكانت محاولات تقديم آراء بديلة قليلة، كما أن الضغط الذي مورس على عدد من برلمانات معينة لسَنِّ قوانين في صالح الرأي الأقوى لأحد الأطراف لا يعكس سوى الرغبة في أن تَحِلَّ القوة محل العدل.

وإلى حين إنشاء محكمة الجنايات الدولية سنة ٢٠٠٢م، كان تحقيق العدل يتم دوماً على أسس انتقائية؛ أما المحكمة الحالية فإنها تعاني من نقاط ضعف معينة في أنظمتها، بالإضافة إلى تعرضها الأخير للنقد حول استقلاليتها؛ إلا أن إنشاءها

الآن يعد "ثورة حقيقية في نظام القانون الدولي الحديث.. وهو خطوة نوعية جديدة"[1]. فلم يكن من المتصور اعتبار أي من المحاكم السابقة، التي تصف نفسها أماكن للحكم السديد، سواء أكانت جلسات، أم قضاة أم محاكم: دائمة أو فعالة أو مستقلة أو عالمية أو حتى وطنية، مثل هذه المحكمة. فبالمقارنة بمحكمة الجنايات الدولية، فإن محاكمتي نورمبرغ وطوكيو كانتا نتاج عدالة المنتصر. وكما يقول قاضي محكمة العدل العليا الأمريكية روبرت أتش جاكسون، المدعي العام الأمريكي في نورمبرغ: "إن المحاكم تحاكم قضايا، لكن القضايا أيضاً تحاكم المحاكم"[2]. وتعكس "العدالة" التي قُدِّمَتْ بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية مصالح القوى المنتصرة؛ فالإجراءات التي اتُّبِعَتْ في إنشاء العديد من المحاكم العشوائية من قِبَلِ مجلس الأمن تعكس المواقف المتضاربة لأقوى الدول. ومما لا شك فيه أن بعض البرلمانات، التي جرى انتخاب أعضائها بمساعدة من جماعات الضغط، وبكل الوسائل التي يُعتقد أنها ضرورية في علم السياسية، لا يمكن أن تكون أبداً المكان الذي يتم فيه اتخاذ قرار نهائي حول مثل هذه القضايا التاريخية والقانونية بشكل مناسب.

دعونا نتخيل، على سبيل الجدل، أنه كانت هنالك محكمة في سنة ١٩١٨م مثل محكمة الجنايات الدولية، بقضاة و(مُدَّعين) منتخبين من جميع الدول المشاركة عبر الاقتراع السري، حيث تمثل هذه المحكمة النظم القانونية الأساسية، وفيها تمثيل جغرافي متساو ومساواة بين الجنسين. فلو تقدم الأرمن والأتراك لتلك المحكمة بأدلة وشهود، ومن دون تأثير سياسي من الخارج، لربما كان الحكم هو أن مجموعتين من المسلمين والأرمن، بعد قرون من التعايش السلمي بينهما، اقتتلتا، حيث كان السيف يعمل في رقاب إحدى المجموعتين تارة، وفي رقاب المجموعة الأخرى تارة أخرى. وفي ضوء سفك الدماء من كلا الجانبين، لا يمكن لأية محكمة مستقلة حينئذ أن تقرر أن إحدى المجموعتين كانت ضحية فقط، وأن الأخرى كانت الجلاد. كان لهذه الهيئة المستقلة أن تحكم، من بين أشياء أخرى، بأن الأقلية

(1) Hans Kochler, **Global Justice or Global Revenge? International Criminal Justice at the Crossroads**, Wien-New York, Springer, 2003, pp. 185f.

(2) Telford Taylor, **The Anatomy of the Nuremberg Trials**, New York, Alfred A. Knopf, 1992, pp. 44f.

القومية أو الدينية في دولة تخوض حرباً قد شهرت السلاح، وثارت، وتعاونت مع قوة غازية، وأن أفرادها قد هُجِّروا؛ إلا أن الغالبية العظمى منهم وصلت إلى بغيتها أو أوطانها الجديدة: سواء أكانت لا تزال أراضي عثمانية، في دول مجاورة، أم أراضي بعيدة مثل الولايات المتحدة، كما يمكن أن تُنْسَبَ الوفيات إلى الأمراض المعدية التي تنتشر في ظروف الحرب، وكذلك إلى إصابات أخرى، أقل مما أكده بعض المراقبين، والتي وقع معظمها بين ١٩١٤ و١٩٢٢م في عشرات الحروب وفي الصراع المسلح الذي شارك فيه الأرمن بقوة.

إن الأرمن والأتراك في حاجة إلى مراجعة علاقاتهما بطريقة أكثر اتزاناً من تلك التي تبدو الآن مهيمنة على تفكير جزء كبير من المجتمعات الغربية. وهذا العرض الموجز يهدف إلى حشد مجموعة من الحقائق على أمل طرح المسألة على أسس أكثر موضوعية. فقد كان الفكر السائد على جانبي الأطلسي، بما فيه الولايات المتحدة، ولاسيما خلال القرنين الماضيين، يركز على اعتقاد أن كرسي الحضارة كان في الغرب عند المجتمعات المسيحية، حيث الطرف الآخر غير متحضر وأدنى مرتبة. وهكذا، وانطلاقاً من هذه النظرة، فإن المسلمين، بمن فيهم الأتراك، لا يمكن أن يكونوا ضحايا، بل جلادين. وبالمثل، فإن الأرمن المسيحيين، في ظل وضعهم المالي والسياسي القوي في معظم الدول الغربية القوية، لديهم الحق في الاستماع إليهم أكثر من عدوهم، مثلما كان لصناع القرار الأمريكيين "الحق بطرد السكان الأصليين من جزر بكيني أتول وتفجير القنابل الذرية في بحيرتهم". فالصدمة التي تسبب بها التوسع العثماني الذي مضت عليه قرون لا يزال يشكل جزءاً حياً من بعض التركيبات النفسية القومية. فمن الناحية التاريخية، حارب الأتراك الدولة البيزنطية وليس الأرمن، ولم يستولوا على أراض من الطرف الأخير. وحتى بالنسبة إلى بعض الأوروبيين المعاصرين فإن على الأتراك "ألا يعودوا". وليس الأرمن فقط، بل إن بعض الجماعات الأوروبية أيضاً، تشعر بالغيظ نتيجة الخسائر الحقيقية أو الأسطورية، وتبقى رهائن لفهمها أن الأتراك فقط يمكن أن يكونوا جلادين ولا يزالون يشكلون تهديداً بطريقة أو بأخرى. وهذا النهج يساند: بل يجيز عدم التسامح والظلم وعدم المساواة.

وللتغلب على هذا الخلل، هنالك بعض الدراسات الحالية التي تربط العوامل النفسية التي تعوق الحل بين الأفراد بتلك التي تعوق السلام بين الجماعات الكبيرة أو الأمم. فهي تعالج الحاجة النفسية إلى وجود أعداء وحلفاء، وتأثير تلك الحاجة الكامنة على القومية العرقية والسياسة العالمية. ويمكن للنزاعات أن تستفحل ليس عندما تتعلق بالعلاقات مع أعداء خارجيين فقط (في هذه الحالة الأتراك مع الأرمن)، ولكن عندما تتعلق أيضاً بالأشكال الدولية لها[٣]. فأحياناً يكون لدى الناس، إلى جانب الحاجة إلى أعداء وحلفاء أيضاً، مصلحة نفسية في استمرار نزاع معين. فبعض الأفراد والجماعات يستغل الأعداء كوسائل استقرار خارجي لحِسِّهِمْ بالهُوِيَّة والتحكم الداخلي، فمحاربة أعدائهم قد تخفي، إلى حد معين، صراعاتهم الداخلية؛ فتصبح لديهم مصلحة في استمرار العداء، فهم بحاجة إلى "عدو" إلى حد عدم الرغبة في الابتعاد عنه.

ويمكن لمجموعة من البشر أن تختار حدثاً وتسبغ عليه سِمَةً تُعْرَفُ بـ "الصدمة المختارة" لتمثل حالة ذهنية للاضطهاد، والتي قد تصبح جزءاً من هويتها. ويتم الاختيار في العادة عندما تهتز "خيمة" المجموعة التي ترمز إلى قوتها[٤]. فذلك الحدث المرتبط بالمشاعر والتحوير والرمزية الأسطورية ينتقل من جيل إلى آخر. وعندما ينتقل الاهتزاز عمودياً ليصبح حالة ذهنية مشتركة، لا تعود الحقائق التاريخية مهمة، كما يمكن لحالات "المجد المختارة" أن تعاني من التغييرات نفسها. ويتم إعادة الاستقرار إلى الخيمة التي وقع فيها التحوير، مع استبعاد المتباكين للعناصر "الخارجية" كافة، بما فيها خسائر المجموعة "الأخرى".

إلا أن الحقائق التاريخية قد تناقش لصالح وضع مختلف: إذ يجب أن يوصف التعايش السلمي بين الأرمن والأتراك، خلال حقبة التاريخ المشترك بينهما، على أنه

---

(٣) للاطلاع على كتاب مهم في الآليات النفسية للعلاقات الداخلية للمجموعات، راجع:
Vamik D. Volkan, **The Need to Have Enemies and Allies: From Clinical Practice to International Relationships**, Northvale, New Jersey and London, Jason Aronson Inc, 1994.

(4) V.D. Volkan, "Ethnonationalistic Rituals: An Introduction," **Mind and Human Interaction**. Charlottesville, Va., 4/1 (December 1992), p. 8.

ليس ودياً فحسب، بل أخوياً أيضا. فما يعرف بـ "القضية الأرمنية" التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لا يمكن أن تُحَلَّلَ بمعزل عن علاقاتها بتدخلات القوى الأوروبية، حيث وصلت هذه التدخلات إلى درجة "الحق" في التدخل حين أطلقت عليها تلك الدول "التدخلات الإنسانية"، وهو تعبير يفتقر إلى الدقة في ذلك الحين وحالياً. فوراء التسويغ "الأخلاقي" المبتدع ذاتياً حول الدبلوماسية العشوائية والضغوط والتدخل والحرب، المرتبط بمواطنين عاشوا في ظل الدولة العثمانية مثل الأرمن واليونان والمقدونيين والعرب، توجد هنالك مشاريعهم التوسعية الخاصة[٥]. وما يسمى بالعذر كان يتوقع أن يمنح التصرفات الأجنبية ما يماثل "المسوغ القانوني"، أو الجدال على أرضيات قانونية وأخلاقية كذلك. وقد بدا أن التدخل الخارجي قد حقق شرعية في هذا المجال.

وهكذا فإن حكومة ما ـ وهي في هذه الحالة الحكومة العثمانية، التي تتصرف ضمن حدود حقوقها السيادية ـ قد تعرضت للنقد اللاذع وكأنها قد انتهكت "حقوق البشرية". وما كان يُعتقد إنه يُلحق الأذى بالحضارة المسيحية كان في العادة يتعارض، بكل بساطة، مع مصالح الدول الأوروبية القيادية. فعلى سبيل المثال، فإن الإجراءات التشريعية والإدارية التي فرضتها معاهدة برلين (١٨٧٨م) على الإمبراطورية العثمانية، والتي ستُفَعَّل في مجالات تقع ضمن السلطات التشريعية للثانية، كانت في الحقيقة آليات للسيطرة الأجنبية الدائمة على الشؤون الداخلية للدولة المستهدفة. وقد عمل هذا المظهر على تغطية جدول أعمال توسعي؛ فالقوى المتدخلة كانت تؤدي دور القاضي الذي يحكم في قضاياه؛ والقوى الأوروبية نفسها لم تحدد ولم تمارس القوانين نفسها على السكان في مستعمراتها: بل كانت في العادة تكتفي بذلك داخل حدودها.

وإحدى النتائج الثانوية للتدخل بالنسبة إلى الأرمن كان ثورتهم المسلحة سنة ١٩١٥م في أقصى شرقي الإمارة العثمانية "وان"، حيث قاموا بمهاجمة الأحياء المسلمة في المدينة وعملوا بالتنسيق مع القوات الروسية الغازية. وكانت نتيجة ذلك

---

(٥) للاطلاع على خلفية تاريخية لمفهوم التدخل الإنساني، راجع:

Kochier, op. cit., pp. 271-277

التدخل نقلهم من مناطق الحرب بالقرب من الحدود إلى الأجزاء الجنوبية من الدولة العثمانية. وقد حُجِبَتْ الحقيقة بشأن قصة تهجيرهم بابتداع التلفيقات وسرد الأعمال البطولية والأساطير والأكاذيب المبالغ فيها بعدد القتلى. فمشاركة الأرمن في سلسلة من الحروب ومقتل الكثير، من الجانبين، في مثل هذه النزاعات المسلحة قد تم إهمالها عمداً، مما أدى ـ من ثم ـ إلى تصوير إحدى المجموعات ببراءة بياض الثلج بينما الطرف الآخر يجلله السواد.

وهنالك نتيجة أخرى للأحداث التي تعود إلى الحقبة التوسعية من القرن التاسع عشر هي الصدمة الأرمنية المحتومة، التي تم تناقلها من جيل إلى آخر بشكل أكثر شدة بحيث يحقق في أثناء ذلك معنى "الحاجة" إلى عدو كوسيلة استقرار خارجية للحس بالهوية والسيطرة الداخلية. ومن ناحية أخرى، فإن الرد التركي كان مختلفاً بالكامل، فلم يكن مؤسسو الجمهورية التركية الحديثة في أوائل العشرينيات من القرن العشرين جاهلين أو غير مدركين للأحداث التي ارتبطت بالأرمن، ولم تكن لديهم أية نية بإخفاء أية حقائق أيضاً، وأكثر من ذلك، كانوا يرعون مجموعة كبيرة من الوثائق في الأرشيف العثماني الغني، والتي تعكس أحداثا ملموسة تختلف عما يطلقه خصومهم من قصص أكثر شيوعاً نوعاً ما. وقد مرت سنوات منذ أن قدم الأتراك مثل هذه الأدلة من مصادرها الأصيلة إلى المكتبات الرائدة ومراكز الأبحاث في العالم؛ إذ ركزت الأجيال الجمهورية بكل بساطة على مستقبل الشعب التركي، وليس ماضيه، فلم يريدوا تربية أولادهم على الانتقام أو الثأر، فلو أنهم فتحوا الملفات القديمة، فسوف تمتلئ الأجندة أولاً، وقبل كل شيء، برغبة عارمة في مراجعة المأساة التي راح ضحيتها ما يقارب ١١ مليون تركي وغيرهم من المسلمين، حيث قُتِلَ نصفهم وأُجْبِرَ النصف الآخر، من الذين عاشوا في الأراضي الإسلامية الشاسعة الممتدة من البوسنة إلى القوقاز على الهرب. وقد اختفى ذلك العالم الآن، باستثناء عدد قليل من الجيوب في غرب تراقيا (في اليونان) وسرايفو (في صربيا) وفي جمهورية مقدونيا السابقة، وجنوب شرقي بلغاريا، وبالقرب من كوستانزا (في رومانيا). ويعيش حالياً في الجمهورية التركية أبناء وبنات الناجين، مثل المسلمين الألبان، والآذريين، والبوشناق، والشيشان، والشركس، واللاز، والتتار

وما إلى ذلك.

وقد استمرت مواقف الأرمن، بل ازدادت حدة، في الاتجاه نفسه، وهي تصبح أقوى وأكثر نشاطاً في الدول التي يعيشون فيها، وقد مارسوا الضغوط على نوابهم لِسَنِّ قوانين تَدَّعِي أنهم ضحايا الأتراك. وفي هذه الأثناء، دعموا منشورات تعرض لوحة زيتية مشهورة جداً تصور أهرامات من الجماجم لفنان روسي، أتم رسمها سنة ١٨١٢م وتوفي سنة ١٩٠٤م، بوصفها تمثل جماجم الأرمن الذين قُتِلُوا من قِبَلِ الأتراك سنة ١٩١٥م. وقد طبع الأرمن نسخاً كثيرة عنها، كما أشاروا مراراً وتكراراً إلى برقيات طلعت باشا حول "الإبادة" المزعومة، التي أثبت الأتراك أن جميعها كانت مزورة. فقد قدم العديد من المختصين الأتراك وثائق عثمانية أصلية تصور اتجاهاً مختلفاً تماماً، لكن لسوء الحظ لا يشير الخصوم إليها. كما ثبت تزوير ما يعرف بـ"تصريحين" تم نسبتهما خطأ إلى مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس تركيا الحديثة. وقد أذهل ذكرهما، بل أغضب بعض الأرمن ممن يتحلون بالمسؤولية. فمحاولة الأرمن أيضاً إجراء مقارنة بين أحداث ١٩١٥م ومحرقة (اليهود) في الحرب العالمية الثانية، بما فيها تأكيدهم أن مجازر الأرمن أدت إلى محرقة اليهود، يُعَدُّ أمراً مرفوضاً بالمقاييس كافة؛ فذلك ظلم جائر ليس للأتراك فحسب، بل لليهود أيضاً.

وتوجد أيضاً بضعة أعمال وتقارير أرمنية وبريطانية وأمريكية وروسية تنصف الأتراك. فبعض تحليلات الأرمن، التي تقوم على تجربة الثورة المسلحة، والحروب والإرهاب، تُعَدُّ من النقد الذاتي؛ فهي تتعامل مع الظروف التي لا يُعرف عنها الكثير في أواخر القرن التاسع عشر وكذلك مع أحداث ١٩١٥م. ولسوء الحظ أيضاً فإن الكتاب الأرمن نادراً ما يشيرون إلى مثل هذه الأعمال.

وأود أن أعلق أكثر على النقاط التي أثيرت أعلاه جميعها، وأنا أعلم تماماً أنه لا توجد معالجة كاملة لقضية بمثل هذا التعقيد. وعلى ذلك، يجب إثارة بعض الحقائق التي ربما لا تتوافق مع الأفكار السائدة. فإذا كانت هنالك أسباب أقل للأرمن والأتراك ليختلفا، فإن هذا أفضل؛ فالطرفان يستفيدان من التفاهم المشترك، والتقاء الأفكار والصداقة.

٢- ابتداع كلمة "بربر"

لقد عاش الأرمن والأتراك جيراناً أو مواطنين في الدولة نفسها قرابة ألف عام، سواء أكان الأتراك سلاجقة أم عثمانيين. وقد أثر كل منهما في ثقافة الآخر. وقد تأثرت لغتهم ومختلف إنجازاتهم الفنية والعادات والحياة اليومية بشكل عميق وإيجابي[٦]. فانطلاقاً من عَدِّها أول دولة مسيحية (٣٠٢ بعد الميلاد)، كانت أرمينيا - مع ذلك - تابعة لعقيدة التوحيد Monophysite (التي تقر "بالطبيعة الموحدة" للمسيح، بوصفه كائناً كلياً مقدساً وليس بوصفه مكونا من جزأين؛ أحدهما إلهي والآخر بشري)، ما أدى بمجلس كالسيدون (٤٥١م) إلى شجب ذلك بوصفه هرطقة[٧]. وعلى العكس من ذلك، فإن السلطان التركي (محمد الثاني) اعترف سنة (١٤٦١م) بالأرمن الجريغوريين كجالية دينية مستقلة مع حريتهم الأساسية في العبادة، واستخدام لغتهم القومية، وحق العيش والعمل والتجارة (وفيما بعد) شغل مناصب عامة.

وفي هذه الأثناء كان العثمانيون يتجهون إلى القمة في ازدهارهم وبهائهم؛ فقد امتد حكمهم من أطراف فيينا إلى الخليج العربي ومن القرم إلى الحدود المغربية. وقد حاز سليمان القانوني بجدارة ألقاباً إضافية مثل "الرائع" أو "التركي العظيم". ويقدم معرض السلطان سليمان الذي جاب مؤخراً المدن المهمة في العالم، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، لمحة سريعة فقط عن مستوى الحضارة الراقي. ففي الوقت الذي كان فيه جنود كرومويل يضطهدون الكاثوليك، ويقمع الفرنسيون البروتستانت (الهغنوتيين)، وبينما يقوم آخرون بقمع الكالفينيين، وفوق ذلك كله، عندما كان اليهود يعانون من محاكم التحقيق في أوروبا[٨]؛ فإن نظام الملة في

(6) Nejat Göyünç, "Turkish-Armenian Cultural Relations," **The Armenians in the Late Ottoman Period**, Türkkaya Ataöv, ed., Ankara, The Turkish Historical Society for the Council of Culture, Arts and Publications of the Grand National Assembly of Turkey, 2002, pp. 23-42.

(٧) يدعي بعض علماء الأرمن أن الأرمن الجريجوريين، على العكس من الموحدين، يعترفون بالوحدة المنسجمة للمخلوقات المختلفة.

(٨) لا يعرف الأوروبيون والشعب الأمريكي مدى قيام الإمبراطورية العثمانية والجمهورية التركية بدور في استضافة اللاجئين الذين عانوا من اضطهاد روما، سواء أكانوا مسلمين أم غير=

الدولة العثمانية(٩) منح اعترافه بحقوق كل من الأرمن والرعايا غير المسلمين كافة بمن فيهم اليهود، والمسيحيون الأرثوذكس(١٠)، وفي النهاية الكاثوليك(١١) والبروتستانت(١٢) المقيمون في الدولة.

= مسلمين. فقد استقبل العثمانيون آلاف اللاجئين اليهود الفارين من الهجمات المسيحية في مختلف أنحاء أوروبا الغربية، ولاسيما في شبه الجزيرة الأيبيرية. كما قدموا الملاذ مرة أخرى لآلاف المسلمين واليهود الذين بقوا على قيد الحياة بعد غزو هابسبيرغ لأجزاء من البلقان ومجازر القوزاق لليهود في أوكرانيا. كما واصلوا توفير الملاذ لملايين المسلمين الفارين من الغزوات الروسية المتكررة لكريميا، وآسيا الوسطى، والقوقاز، والبلقان. كما استقبلوا مزيداً من اللاجئين اليهود الفارين من المجازر والاضطهاد في المناطق التي يسيطر عليها المسيحيون في جنوب غربي أوروبا. وللاطلاع على الدور العثماني في استقبال اليهود انظر:

Stanford J. Shaw, **The Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic**, London, Macmillan, and New York, New York University Press, 1991.

وللاطلاع على الدور العثماني في إنقاذ اليهود من المحرقة، انظر:

Stanford J Shaw, **Turkey and the Holocaust: Turkey's Role in Rescuing Turkish and European Jewry from Nazi Persecution, 1939-1945**, New York, Palgrave Macmillan, 1993.

(9) Stanford J. Shaw, **History of the Ottoman Empire and Modem Turkey**, Vol. I, Cambridge, University Press, 1976, pp. 58-59, 134-135 and 315-316.

كلمة "ملة: مشتقة من العربية، وهي مستخدمة هنا بمعنى المجموعة الدينية. وقائد كل مجموعة يطلق عليه باشا.

(١٠) يشكل الأرثوذكس: الروم الأصليون (أي بطريركيات العاصمة، والاسكندرية، وأنتيوخ والقدس ومقر رئيس الأساقفة في قبرص)، والصرب والفلاكس والبلغار الإكساركيستيون.

Sir Harry Luke, **The Old Turkey and the New**, London, Geoffrey Bles, 1955, p. 95.

(١١) كان الرئيس الكنسي للكاثوليك أعلى "وكيل" لكل الكاثوليك، الذين كانوا يُعَدُّون كياناً واحداً.

وبالمثل، كان الغوغوز المسيحيون الذين يحملون العرق التركي جزءاً من الملة الأرثوذكسية.

Türkkaya Ataöv, Discrimination and Conflict, Geneva, Switzerland and Haarlem, the Netherlands, EAFORD and SOTA, 2000, pp. 59-60.

(١٢) عاش البروتستانت أيضاً وعملوا على الأساس نفسه. وإن وصول وليام غودول، وهو مبشر أمريكي، إلى اسطنبول (١٨٣٠م) لبدء العمل بين الأرمن أدى إلى كثير من التداعيات على جانبي الأطلسي. =

وفي ظل غياب المعلومات الصحيحة عن جيرانهم والآخرين الذين يعيشون في مناطق أبعد، فقد سارع الأوروبيون بتسمية العثمانيين بـ "السفاحين" أو "البربر" بشكل عفوي. ويذكرنا هذا بوصف اليونان القدماء للفرس باستعمال التعبيرات نفسها. وبينما كانت الطبقات الحاكمة منشغلة في التوسع إلى ما وراء البحار والاستعمار، فقد طرحوا أنفسهم على أنهم "أساس الحضارة" وادَّعَوْا أن آراءهم "أسمى" من الآخرين(١٣). فعلى سبيل المثال، سافر مجلس المفوضين الأمريكي إلى ميناء إزمير على شاطئ بحر إيجة في الأناضول - التي يشير إليها الغرب باسم "سميرنا" - وذلك في أوائل ١٨١٩م(١٤)، حيث أدى نشوء الرأسمالية والثورات العلمية والصناعية، إضافة إلى سياسة القوى التي تقدم مبادئ اكتمال وإعادة تقسيم العالم، إلى سلسلة من التدخلات من قبل الدول الصناعية الرئيسة.

لقد أضحت الإمبراطورية العثمانية هدفاً جذاباً للتدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية، ولاسيما فيما يتعلق بالأقليات المسيحية فيها، ويشكل الأرمن إحداها(١٥).

= Thomas O. Kutvirt, "The Establishment of an American Protestant Mission to the Armenians: 1810-1830," **The Armenian Review**, Vol. XXV, No. 3-99 (Autumn 1972), pp. 34-9.

في سنة ١٨٤٦م، أنشأ أربعون أرمنياً الكنيسة الأرمنية الإنجيلية، التي اعترف بها السلطان العثماني رسمياً بعد أربع سنوات.

Rev. Vahan H. Tootikian, "The Rise of Armenian Evangelicals," **The Armenian Review**, Vol. XXXV, No. 2-138 (Summer 1982), pp. 128-151.

كانت تلك بداية إحياء المسيحية في الأناضول:

O.G.H. Dwight, **Christianity Revived in the Near East**, New York, Baker and Scribner, 1850.

(13) Thomas C. Patterson, **Inventing Western Civilization**, New York, Monthly Review Press, 1997, p. 21.

(14) Clifton Jackson Phillips, **Protestant America and the Pagan World**, Cambridge. Harvard East Asian Monographs, 1969, p. 133.

(١٥) لمراجعة (باللغة الروسية) حول "خطط القوى الإمبريالية خلال الحرب العالمية الأولى" على الأرمن، انظر: S. M. Akopyan, **Zapatnaya Armeniya v planah imperialisticheskth derjav v period pervoi mirovoi vayni**, Yerevan, Izdatelstvo Akademii Nauk Armiyanskoi SSR, 1967.

ولا يعني ذلك القول إن الأرمن العثمانيين لم تكن لديهم مشكلات خاصة بهم، كما أن عدداً لا بأس به من المفكرين الأتراك قد ناضل من أجل حريات وحقوق جديدة؛ لكن في الوقت الذي حظي فيه الأرمن بدعم خارجي، فإن التركي أو المسلم العادي كان يفتقر إلى مناصرين أقوياء. وعلى أية حال، كان للمتدخلين الأجانب خططهم الخاصة وتسويغ تدخلاتهم على أرضية "أخلاقية"، سرعان ما ترافق معها "المسوغ القانوني": فقد كانت "القيم" تخفي مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية. فالشؤون الدولية ذات التوجه الأوروبي حينئذ روجت فكرة أن حكام الغرب كانوا أفضل من الباقين، كما ترافق أمر آخر مع هذا التوجه وهو أن الرعايا المسيحيين العثمانيين، بحكم دينهم، شعروا أنهم ـ بشكل ما ـ ذوو حق في عَدِّ أنفسهم أسمى من جيرانهم المسلمين، سواء أكانوا أتراكاً أم أكراداً، أم من المهاجرين الأبخازيين والآذريين، والشركس والشيشان وما إلى ذلك ممن تسللوا إلى شرقي الأناضول هرباً من التقدم الروسي في القوقاز. والحقيقة التي لا يعرفها الكثيرون هي أن بعض الأرمن احتقروا هؤلاء الناس، الذين يقولون الآن إن الأجيال السابقة عانت على أيدي الأرمن، بما في ذلك التعرض للقتل.

وهكذا لا يمكن للمرء التقليل من الدور البارز الذي أدته الأمم القوية في عصر التوسع في منطقة بمثل هذه الأهمية الاستراتيجية وغنى الموارد مثل الشرقين الأوسط والأدنى؛ إلا أن وضع الأتراك فريد من زاوية مختلفة. فمع أن اسم "ترك" يظهر في المصادر البيزنطية والصينية في القرن السادس الميلادي، إلا أن قبيلة السلاجقة التركية دخلت الأناضول بعد معركة مالازغيرت (مانزكيرت) سنة ١٠٧١م. فقد كان أحفاد هذه السلالة هم من دافعوا عن القدس أمام الصليبيين الغزاة وأطلقوا عليهم وصف "الكفار العنيفين". وهنالك مجموعة تركية أخرى، هم العثمانيون، أسست رأس جسر في أوروبا وانطلقت في عمق البلقان بعد معارك "فارنا" (١٤٤٤م) وحربي كوسوفو (١٣٨٩، ١٤٤٩م). وقد طلب تشارلز تروبيا، حاكم المناطق الألبانية الوسطى، من الأتراك مساعدته في حربه ضد الحاكم الصربي القوي بلشا الثاني الذي يحكم بقية شمالي ألبانيا. وقد اعترف معظم حكام الألبان، الذين احتفظوا بأملاكهم القديمة كما هي، بالسلطان العثماني حاكماً عليهم[١٦].

(16) Machiel Kiel, **Ottoman Architecture in Albania: 1385-1911**, Istanbul, Research Centre for Islamic History, Art and Culture, 1990, pp. 17-18.

وقد كان الفتح التركي (١٤٥٣م) لعاصمة البيزنطيين ـ القسطنطينية سابقاً، واسطنبول حالياً ـ سبباً لحزن العالم المسيحي أجمع، وليس بالنسبة إلى اليونانيين فقط؛ فقد وصل الأمر بالسير ستيفن رونسيمان أن سمى هذا الحدث "اليوم الذي انتهى فيه العالم"؛ فأجمل مدينة في العالم سقطت بأيدي "الهمجيين". وكانت تلك التسمية، وربما لا تزال، جزءاً من المخزون اللغوي لسياسة القوى الغربية، مع أن المبادئ الأخلاقية الأساسية لليهودية والمسيحية هي أيضاً جزء من تعاليم الإسلام. ويمكن للمرء أن يتذكر بما يتصل بهذا الموضوع أن القسطنطينية قد تعرضت للنهب على نطاق واسع من قبل الأوروبيين إبان الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤م)(١٧). ولكن، ولعقود تلت، أصبح يوم الثلاثاء، وهو اليوم الذي سقطت فيه القسطنطينية بيد الأتراك، أسوأ أيام الأسبوع. وقد سُمِّيَ الفاتحون المسلمون الأتراك، من وجهة نظر المسيحيين كافة، بـ"وحش سفر الرؤيا". وقد تراوحت ردة الفعل بين إنكار حقائق معينة إلى حلم استرجاع المدينة. وبينما أصبحت الدولة المسلمة الحاكمة القوية المتعددة الأعراق واللغات والأديان قوةً عاليةً، واصل الحزن المسيحي التراكم أكثر فأكثر(١٨).

ولا يوجد أساس واقعي لفكرة أن الوجود العثماني في البلقان أو في جنوب شرقي أوروبا كان سلبياً، ولاسيما لدى معالجة هذا الوجود في الكتابات غير التركية الأكثر قدماً. فمثلاً، كان شائعاً في بلغاريا وصف الفترة التركية الطويلة بكلمة robstvo (عبودية) أو igo (النير)، وهاتان كلمتان استعملتا بعد العام ١٨٧٨م(١٩)، فقد تم رسم صورة للمسلمين الأتراك على أنهم متوحشون، ومتعطشون للدماء، ومجردون من الإنسانية، ومتعصبون. والحقيقة المذهلة هي أن كثيراً من

(17) Michael Angold, **The Fourth Crusade: Event and Context**, Harlow, New York, Longman, 2003.

(18) Vamik D. Volkan and Norman Itzkowitz, **Turks and Greeks: Neighbors in Conflict**, Cambridge, U.K., The Eothen Press, 1994, pp. 27f.

(١٩) بعض الكتاب البلغاريين في فترات لاحقة، ممن عاملوا الأتراك كـ"مستعبِدين" هم:

B. Cvetkova, Petar Petrov,I. Snegarov.

القواميس الرائدة لا تزال تصف "التركي" بطريقة تحط من قدره وبأسلوب غير حيادي على النحو التالي: "قاس، ظالم، متوحش، بربري، عنيف، دموي، صارم، مستبد، مثير للمشكلات، مؤذ، منافق"[٢٠]، حيث تفترض هذه القواميس أن الأتراك لا يعرفون سوى النهب والحرق. وقد ساعدت متاحف الرعب على إبقاء هذا الضلال حياً. كما أن شعوب البلقان التي بلغت مستوى رفيعاً في العلم والفن، لم تشر بشكل ظاهر إلى فضل الأتراك.

إلا أن جميع المؤرخين الأجانب لا يتفقون مع "نظرية الكارثة" هذه[٢١]، إذ إن كثيراً من الوثائق العثمانية تبطل هذا الطرح الخاطئ تماماً، وتمتدح ظهور الأتراك على الساحة على أنه تحرير للناس من القبضة الحديدية التي كان أمراؤهم يحكمونهم بها. ويمكن للمرء أن يضيف قائلاً: إنه يوجد عدد من الوثائق الأوروبية التي يمكن الاعتماد عليها، والتي تنقل بكل وضوح صورة الأتراك على أنهم ليسوا أقل من "محررين"[٢٢]، فهي تكشف بصورة دامغة ـ على الأقل ـ معاناة الملوك الألبان والبوسنيين فيما يتعلق بالصرب، ومعاناة القبارصة اليونان تحت حكم ملوك البندقية.

ولا توجد متاحف رعب تعرض الأعمال الوحشية التي ارتكبها أعداء الأتراك: فقد أوضح أحد الكتاب، مرتكباً أخطاء في الحقائق والمفاهيم في أثناء ذلك، أن الوجود العثماني في البلقان كان كارثياً على الحياة الاقتصادية والثقافية للدول المعنية. وقد تم إنشاء عدد لا بأس به من الأحزاب المناصرة للأتراك في البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. وصحيح أنه تم تدمير بعض المدن خلال الحروب الدينية: لَكِنَّ المسيحيين الصليبيين، وليس الأتراك، هم من نهب

---

(20) **Merriam Webster's Collegiate Dictionary (2001), The American Heritage Dictionary (1982), Webster's New Twentieth Century Dictionary (1976), The Shorter Oxford English Dictionary (1973), Webster's New School and Office Dictionary (1958), Thorndike Century Senior Dictionary (1941), New Universal Self-Pronouncing Dictionary (1937).**

(٢١) على سبيل المثال، K. Jirecek, N. Torga, N. Todorov, L. Melnishki, I. Dinov.

(22) Machiel Kiel, **Art and Society of Bulgaria in the Turkish Period**, Assen/Maastricht, Van Gorcum, 1985, p. 39.

وحرق المدن البلغارية وغيرها من مدن البلقان[٢٣]، فقد كان جيش القيصر الروسي بقيادة الجنرال ميخائيل الأول، كيوتوزوف (١٧٤٥-١٨١٣م) هو الذي دمر ما تبقى من جدران البلدة القديمة المتبقية من الفترة البيزنطية المبكرة والعصور الوسطى إبان حملته ضد العثمانيين، كما دمر يونانيو ميسمبريا، وليس الأتراك، الكنيسة المسيحية لبلدتهم، ودمر مجلس مدينة فارنا (١٩٠٨م) قلعة المدينة، كما هدم زلزال سنة (١٩١٣م) كنائس تيرنوفو، كما كان القيصر فردناند حاكم ساكس -كوبورغ- كوهاري نفسه، الحريص على مرور عربته الملكية، مسؤولاً عن تدمير البوابة الماثلة في تيرنوفو. وكما تشير الأسماء والتواريخ على الجدران بكل وضوح، فإن المخربين أزالوا لوحات الفسيفساء بعد فترة طويلة من تخلي الأتراك عن هذه الأراضي. وقد هُدِمَتْ كنيسة جين سنة ١٩٤٨م، كما يقال، للدلالة على الولاء للنظام الشيوعي. ولم يكن الأتراك مسؤولين عن أي من هذه الأعمال المروعة.

ومع انطلاق التمرد اليوناني سنة (١٨٢١م)، انحسر وجود العالم الإسلامي، باستثناء عدد قليل من المناطق الصغيرة، في كل من البلقان، والقرم والقفقاس. وما مأساة البوسنة المعاصرة سوى حلقة من حلقات سلسلة طويلة من القتل الجماعي والطرد وموجات الهجرة. فخلال قرن (١٨٢١-١٩٢٢م)، فقد الأتراك ما يقارب ٥٫٥ مليون من أقاربهم، وكان عليهم فتح أراضيهم في الأناضول ليستقر فيها ٥٫٥ مليون لاجئ آخر. وفي ظل حملات القتل الكبيرة التي شنها جيرانهم الأقوياء مثل الإمبراطوريات الروسية والنمساوية-المجرية، فقد كسب الأتراك المعركة الأخيرة فقط، وهي حرب الاستقلال (١٩١٢-٢٢م). وحسبما كتب أحد العلماء الأمريكيين المعروفين، فإنه لا يمكن فهم كثير من تاريخ البلقان، والقرم والأناضول والقفقاس دون تأمل مفصل للقتلى واللاجئين المسلمين[٢٤]، ولا يوجد مصدر غربي تقريباً يبحث في المصاعب التي واجهت استقرار ملايين اللاجئين، الذين شاء لهم القدر البقاء على قيد الحياة، حيث كانت الموارد شحيحة لدى الحكام العثمانيين.

(٢٣) للمزيد من الأمثلة: المرجع السابق، ص ٤٧-٥٣

(24) **Justin McCarthy, Death and Exile: The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims, 1821-1922,** Princeton, New Jersey, The Datwin Press, Inc., 1995.

وفي دراسة أخرى يصف الكاتب نفسه بشكل مقنع كيف أن اندثار الإمبراطورية العثمانية كان نتيجة تكهنات تم تفسيرها وتشكيلها بفعل الأهداف التوسعية لدول أخرى[٢٥]، وعلى الرغم من الأدلة الدامغة في الملفات الأجنبية، ولاسيما البريطانية منها، فإن مؤرخين وكتب تاريخ أخرى لا تشير إلى المذبحة المتكررة للأتراك. فهل يمكن كتابة تاريخ كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة دون إشارة مناسبة لما حدث امتداداً من الجزائر إلى النظام العنصري في جنوب أفريقيا، وإلى المآسي التي مر بها الصينيون والفلبينيون وغيرهم من شعوب جنوب شرقي آسيا، إلى العديد من الهجمات على السيادة الوطنية لدول أمريكا اللاتينية، أو التجارب المأساوية لسكان أمريكا الأصليين أو الأفارقة؟

٣- تسامح أم إبادة جماعية؟

لا شك أن أي مراقب بعيد عن المعرفة الناقصة أو عن إصدار الأحكام المسبقة جزافا يمكنه أن يدرك أن الطريقة التي عاملت بها الدولة العثمانية الأقليات الدينية والعرقية طوال ستة قرون كاملة من تاريخها لا يمكن أن توصف إلا بكونها سياسة متأصلة في السعي من أجل التسامح، على الرغم من أن ذلك يأتي ضمن سياقه الخاص. ويعود الفضل إلى بقاء وديمومة المسيحية في البلقان والأناضول إلى فهم عميق لمبادئ الإسلام من جهة، بالإضافة إلى الضرورات التي تمليها طرق الإدارة الحكيمة من جهة أخرى. فبمقارنة التكوين القانوني والانفتاح الذهني والنوايا الحسنة مع السلوكيات الدموية التي تُشَاهَدُ حتى في عالمنا المعاصر، فإن التقاليد العثمانية الرسمية تُعَدُّ متمدنة جداً، بل مثالية. كما أن فتح العثمانيين أبوابهم لعشرات الآلاف من اليهود المضطهدين لم يكن ظاهرة معزولة. والحقيقة التاريخية، التي لا يُعرَفُ عنها سوى القليل فقط في وسائل الإعلام الغربية، هي أن المجتمع العثماني، طوال تاريخه، كان ملاذاً آمناً للأفراد والجماعات التي تعرضت للتهديد أو جُرِّدَتْ من أملاكها أو تعرضت للتمييز أو قُتِلَتْ في أماكن أخرى. ومثال اليهود الواضح لم يكن الحالة الوحيدة في ذلك السياق؛ فهنالك مجموعة كبيرة من

(25) Justin McCarthy, **The Ottoman Peoples and the End of Empire**, London and New York, Oxford University Press, 2001.

الأشخاص، بمن فيهم المؤمنون الروس القدماء واللاجئون الذين هربوا بعد فشل ثورات ١٨٤٨م.

ولو اتبع العثمانيون أسلوب الدمج العرقي والتحويل الديني القسري الذي يتهمهم به ظلماً كتاب غربيون، فإنهم كانوا سيتخلصون، إلى الأبد، من عناصر كانت ستقود، فيما بعد، حركات عصيان قومي مدعومة من قوى خارجية مهيمنة. ولو قاموا بما يمكن أن نسميه اليوم أسوأ أشكال الاستعمار والإمبريالية، لكان هنالك عالم مسلم ناطق بالتركية يمتد من شاطئ الأدرياتيك إلى حدود آسيا في الشرق الأوسط. وسوف يتفق عدد كبير من علماء الغرب على أن هذا جرى في بعض أجزاء العالم الذي خضع للاستعمار الغربي. فمثلاً: إن اللغة العربية التي انطلقت من مهدها في شبه الجزيرة العربية إلى المغرب في الغرب وإلى الخليج في الشرق، قد خمدت فيما بعد، كما أصبحت الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية لغات العالم الجديد، وقد سادت كل من الإنجليزية والفرنسية أجزاء من أفريقيا، وآسيا وأستراليا وساحل المحيط الهادئ.

ولم تكن هنالك سياسة منظمة من جانب الأتراك لاجتثاث جذور شعوب البلقان وحضارتهم، ولقد أكد المؤرخ الروماني الشهير نيكولاس إيغورا أن العثمانيين وَحَّدُوا البلقان دون تمييز ضد مختلف الأقليات من رعاياهم؛ وإلا فإنهم لم يكونوا ليسمحوا بلغاتهم ودينهم. وحتى في معاملة "العبيد" في تلك العهود الغابرة، لم يكن هنالك ما يماثل الوضع الذي رسمته هارييت بيشر ستو في قصتها "كوخ العم توم"[(٢٦)]، وعلى المرء أن يحكم على ادعاءات الأرمن بـ"الإبادة الجماعية" بناء على الخلفية التاريخية أيضاً.

وفيما يخص العلاقات مع الأرمن بالذات، فإن السلاجقة الأتراك وضعوا موطئ قدم لهم في شرقي الأناضول عندما كانت هذه الأراضي خاضعة للحكم البيزنطي، وليس الأرمني، ولم يحتل الأتراك، سواء أكانوا سلاجقة أم أتراكاً، أية أراض من الأرمن، الذين كانوا مجرد أقلية سكانية في المناطق التي تمت إضافتها إلى السيطرة العثمانية. وفي الحقيقة، كانت القوات الأرمنية في ظل حكم الإمبراطور

---

(26) Samuel S. Cox, **Diversions of a Diplomat in Turkey**, New York, C.L. Webster and Co., 1887, pp. 541-544.

رومانوس الرابع قد تركت ميدان المعركة، وقد قام البيزنطيون أنفسهم بترحيل الأرمن من أراضيهم الأصلية من أجل السيطرة عليهم أو قمعهم. ومن ثم، فحتى قبل مجيء الأتراك، فإن الأرمن المشتتين في الأناضول، لم يشكلوا أغلبية السكان في أي جزء من آسيا الصغرى، وهو ما يختلف عن الحقائق الديموغرافية في البلقان؛ إذ كان الأرمن في الشرق دائماً أقلية ليست مهمة، حيث خدموا في البداية في الجيوش السلجوقية، وبعدها قاموا بدعم الجيوش العثمانية ضد مماليك سوريا. وحتى عندما ضم السلطان سليم الأول الأجزاء المتبقية من شرقي الأناضول إلى إمبراطوريته، فإنه لم يفعل ذلك بمحاربة الأرمن، ولكن بمحاربة الشيعة الصفويين (١٥١٤م) في بلاد فارس.

لقد استفاد الأرمن من إنشاء العثمانيين لبطريركيتهم في العاصمة (اسطنبول). فشأنهم شأن اليهود والمسيحيين، كانوا "أهل كتاب"، لهم الحق في المعاملة الحسنة والحماية من قبل الحاكم المسلم. ولم يمتنع الأتراك عن تكدير حياة الأرمن فحسب؛ بل قاموا أيضاً بمنحهم سلطة مركزية حيث عاشوا وترعرعوا في ظلها في مختلف الجوانب. وقد ازدهرت الجاليات الأرمنية المتمدنة بشكل خاص في ضوء الحريات التي مُنحت لها؛ فقد كانت في أوضاع جيدة ومحل ثقة في أعين الحكام الأتراك، حيث منحوهم لقب الملة الصديقة وبالتركية millet-i sadika.

وقد حاز الأرمن امتيازات أكثر سواء في ظل السنوات العجاف أو السمان للإمبراطورية؛ إذ دخلوا دون قيود في جوانب الحياة كافة كتجار وصيارفة وكتاب وصحفيين وأطباء ومحامين وأدباء، وكانوا من الناحية الاقتصادية في أوضاع أفضل من غيرهم، بمن فيهم الأتراك. وربما كانوا الطبقة الأغنى في المجتمع العثماني، كونهم تجارا أو صيارفة. وفي القرن التاسع عشر، احتلوا مناصب عليا كأعضاء في مجلس الوزراء (في مجالات حيوية مثل الشؤون الخارجية والمالية)، وكانوا نواباً، وحكام أقاليم، وسفراء (في مناطق حساسة مثل برلين وبروكسل ولندن وروما)، وكانوا قناصل، وأساتذة جامعات، وإداريين محليين[٢٧]. وحقيقة أن الإدارة العثمانية

(٢٧) للاطلاع على مصدر أرمني: Mesrob K. Krikorian, **Armenians in the Service of the Ottoman Empire: 1860-1908**, London, Henley and Boston, Routledge and Kegan Paul, 1977.

وثقت بالمواطن الأرمني (غابرييل نورادونجيان)، كوزير للشؤون الخارجية، وبيده زمام أمور الدولة، ليس بالظاهرة العادية. وتسجل حوليات الولايات العثمانية بالتفصيل أسماء ووظائف المسؤولين الأرمن الذين خدموا في العديد من المجالات الإدارية والمكتبية والفنية في الحكومة المركزية وفي شرقي الأناضول، ولم يتعرضوا للتمييز قط، بل تمتعوا بأهمية كبيرة في الحياة اليومية، سواء في الأعمال الحكومية أو الخاصة.

٤- إرهاب: واضح وبسيط

ومن ناحية أخرى لم يكن الأرمن في المناطق الريفية في أوضاع جيدة، لكنهم أُعفوا من الخدمة العسكرية مقابل دفع ضريبة بسيطة، وبعدها فإنهم سرعان ما حصلوا على دعم من حكومات أجنبية قوية وبعثات دينية، حيث تبنت قضاياهم وصاغتها بناءً على طموحاتها الخاصة. وقد كان جيرانهم المسلمون يفتقرون إلى هاتين الميزتين. ولم يكن الفلاحون الأرمن أسوأ وضعاً من نظرائهم المسلمين قط، وعندما ثاروا، فقد غضوا الطرف عن حقيقة أنهم أقلية غير ذات بال في أراضي شرقي الأناضول التي كانوا يفضلون تسميتها "أرمينيا". وكما فعلت الجماعات العرقية المسيحية بالرعايا الموجودين لديها في البلقان بعد استقلالها، فقد خشي المسلمون أن يقوم الأرمن، وهم أقلية في جميع أراضي الأناضول، بانتهاج سياسة تطهير عرقي وديني ليقوموا بفتح مزيد من الأراضي لأنفسهم. وتفضل مختلف شعوب البلقان أن تسمي هذه العملية "بناء الأمة"، لكن ذلك كان وحشياً في نظر الأتراك. وهذا ما حدث تقريباً عندما قام الأمريكيون، وهم الذين حاربوا لنيل الاستقلال لأنفسهم، بالتحرك غرباً وسكنوا الأراضي الجديدة مع من معهم من المستوطنين. وكان بوسع الأرمن تكرار هذا النمط، وبدعم خارجي.

ومما لاشك فيه أن البعض، ولاسيما أرمن المدن، كانوا راضين بوضعهم. أما مطالبات الآخرين فجاءت على لسان جماعات من المسلمين العثمانيين أيضاً. إلا أن لجان أرميناكان، وهينشاغ (هونشاك) وداشناغ الأرمنية تبنت الإرهاب وسيلة أساسية في نضالها؛ فاستعمالها السلاح واضح في المراسلات الدبلوماسية للقوى الخارجية، وفي الأعمال الأرمنية المطبوعة، وكذلك في الأرشيف العثماني.

وقد كتب السفير البريطاني في العاصمة العثمانية في رسالته لوزارة الخارجية أن البطريركية الأرمنية اتصلت به، عشية الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨م، وقالت له: "إذا اقتضت الضرورة القيام بثورة من أجل تأمين تعاطف القوى الأوروبية، فلن تكون هنالك صعوبة في القيام بهذه الحركة"(٢٨)، وأشار سفير بريطاني آخر إلى إثارة الروس للأرمن بالكلمات التالية: "يجري إرسال العملاء الروس... بهدف إثارة عدم الرضا ضد حكم سلطة الباب العالي..."(٢٩). وقد ورد ذكر حادثة مقتل اثني عشر أرمنياً رداً على قتل الأرمن وجرحهم جنوداً أتراكاً في أوروبا باسم "مجزرة" الأرمن(٣٠)، وفي مظاهرات الباب العالي (اسطنبول) سنة ١٨٩٥م، كتب السفير البريطاني: "كان (الأرمن) مسلحين بنوع واحد من المسدسات والسكاكين بما لا يدع مجالاً للشك في أنه تم صرفها لهم من قبل منظم الحركة، وهنالك سبب قوي لافتراض أن هدف "هينشاغ" كان التسبب بقلاقل وسفك دماء... فقد كان الأرمن هم من أطلق الرصاصة الأولى"(٣١) "وذكر القنصل الروسي في "وان" أنه في "سنة ١٨٩٥م، كان ثوار "وان" يعملون لشد انتباه أوروبا مرة أخرى للقضية الأرمنية. كما أرسلت رسائل إلى أثرياء الأرمن تطلب منهم المال، وتهددهم بالقتل. وقد ارتكبت جرائم سياسية... (وكانت إحداها) ضد شخص الكاهن (الأرمني) بوغوس..."(٣٢)، وذكرت السفارة البريطانية أنه خلال انتفاضة أضنة سنة ١٩٠٩م، قام الأسقف الأرمني موشيك "بجولة في مقاطعته داعياً الناس أن من

(28) Sir Henry Elliot to the Foreign Office on 7 December 1876: FO 424/46, No. 336, pp. 205-206.

(29) Sir Henry Layard to Lord Salisbury, Foreign Secretary on 14 July 1878: FO, 424/72, No. 211, pp. 160-161.

(30) The British Consul (Erzurum) Clifford Lloyd's report to the British Embassy in Istanbul: British Blue Book on Turkey, No. I, 1889, No. 85, Encl. 3.

(31) Sir P. Currie to the Foreign Office: FO, 424/184, No. 36, pp. 20-22.

(32) General Mayewski, **Les Massacres d'Armenie: Statistiques des provinces de Van et de Bitlis**, Petersburg, l'Imprimene Militaire, 1916, pp. 33-39.

يملك معطفاً عليه بيعه وشراء سلاح بثمنه"[٣٣]، وذكر تقرير بريطاني آخر أن البطريرك الأرمني كان مسؤولاً إلى حد كبير عن الأحداث التي وقعت[٣٤]، وتذكر الأمريكية من أصل أرمني لويز نالباندیان في رسالتها للدكتوراه أن الأرمن "افتعلوا المشكلات وارتكبوا أعمالاً إرهابية"[٣٥]، وتؤكد بعض المصادر الأرمنية أن الإرهاب وكذلك الدعاية والإثارة كانت وسائل لتحقيق أهداف معينة. فعلى سبيل المثال، عكس الجزء الثالث من برنامج هينشاغ أسلوب الثوري الروسي نارادنويا فوليا الذي أدى إلى إعدام شقيق لينين من قبل فريق إعدام الحكم القيصري. فحتى اسمه (الذي يعني جرس) كان تيمناً بالثوري الروسي أيه. آي. هيرزين كولوكول (جرس بالروسية). وقد قام الداشناغ بتهريب السلاح إلى تركيا واستعدوا لهجوم مسلح على أراضي الأناضول، وقد أعلن البيان الصادر عن اجتماعهم في تبليسي (١٨٩٠م) "الحرب على الحكومة التركية"، وكانت الأساليب التي استعملوها، بحسب تعبير الدكتورة نالبانديان، "تنظيم عصابات قتالية... لاستخدام كل الوسائل لتسليح الشعب... لإثارة قتال وإرهاب مسؤولي الحكومة... وإرساء اتصالات لنقل الرجال والسلاح... ونهب المؤسسات الحكومية وتدميرها"[٣٦]، وتعترف نالبانديان أن برنامج الداشناغ (١٨٩٢م) "أجاز الإرهاب رسمياً وسيلة للعمل"[٣٧]، وتضيف قائلة: "لقد استخدمت حركة داشناغ الوسائل الإرهابية حتى قبل ١٨٩٢م"؛ فكانت التظاهرات، والاختطافات والاغتيالات وسائل "لجذب التدخل الأوروبي"[٣٨]، وكما

(33) FO, 424/220, No. 48.The British Ambassador's report of 4 May 1909: FO, 424/219, No. 83.The British Ambassador's report of 4 May 1909: FO, 424/219, No. 83.

(34) The British Ambassador's report of 4 May 1909: FO, 424/219, No. 83.The British Ambassador's report of 4 May 1909: FO, 424/219, No. 83

(35) Louise Nalbandian, **The Armenian Revolutionary Movement: The Development of Armenian Political Parties through the Nineteenth Century**, Berkeley, Los Angeles, University of California Press, 1975, p. 101, **op, cit.**, 168.

(٣٦) المصدر السابق ص ١٦٨.

(٣٧) المصدر السابق ص ١٧١.

(٣٨) المصدر السابق ص ١٧٦.

يقول كاتب أرمني آخر، فإن الأرمن أصبحوا "سلاحاً في ترسانة المتنافسين الإمبرياليين"[٣٩]، وانطلاقاً من عقدتهم العرقية فقد كان من المعتاد أن يشير البرنامج إلى الشعب الذي يسكن شرقي الأناضول، ولا يذكر الأتراك أبداً"[٤٠].

وتعتبر نالبانديان ثورة زايتون سنة ١٨٦٢م "بداية للانتفاضات"[٤١]. والحقيقة المتصلة باعتقالات الرابع والعشرين من أبريل، بعد ذلك بنصف قرن، لبعض الأرمن في اسطنبول هي البرهان الساطع - كما تعترف بذلك نالبانديان أيضاً - على "الاتصالات المباشرة"[٤٢] للإرهابيين في الأناضول مع قادة الأرمن في العاصمة العثمانية. وبحسب المؤرخ الأرمني المختص بالداشناغ، فإنه "حتى قبل سنة ١٨٧٨م كانت هنالك خلايا خفية، وجماعات سرية، وعصابات "قطاع الطرق" التي قاتلت القوات الحكومية"[٤٣]، وكما يقول مؤرخ أرمني آخر، فقد كان الداشناغ يهدفون إلى "تنظيم وحدات قتالية، وتسليح الشعب، وتفعيل شبكة تجسس، والترويج لاستنهاض الروح الثورية لدى الأرمن، وبشكل خاص اللجوء إلى ترهيب المسؤولين الفاسدين الخونة والمنتفعين"[٤٤]، ويقول أحد أفراد هينشاغ إنه خلال ثورة زايتون الثانية (١٨٩٥م)، خسر الأتراك ٢٠,٠٠٠ رجل مقابل ١٢٥ أرمنياً[٤٥]، وبحسب كاتب أرمني آخر، كان هجوم الداشناغ على البنك العثماني "أول عمل موثق من الإرهاب

(39) Vartan Gregorian, "Book Reviews", **The Armenian Review**, Boston, 36/4 (Winter 1983), p. 77.

(40) Nalbandian, **op. cit.**, p. 114.

(٤١) المصدر السابق ص ٦٧.

(٤٢) المصدر السابق ص ٧١.

(43) Hratch Dasnabedian, **History of the Armenian Revolutionary Federation: Dashnaktsutiun, 1890-1924**, Milan, OEMME Edizioni, 1989, p. 21.

(44) Richard G. Hovannisian, **Armenia on the Road to Independence: 1918**, Berkeley, Los Angeles; London, University of California Press, 1967, p. 17.

(45) Aghassi, **Zeitoun: depuis les origines jusqu'á l'insurrection de 1895**, tr. Archag Tchobanian, Paris, Ed. de Mercure de France, 1897, pp. 186, 193, 197, 306.

المدني-[٤٦]، وقد تدخلت القوى العظمى، وهرب مهاجمو البنك إلى فرنسا عن طريق البحر دون أن تمسهم السلطات العثمانية.

وكما هو متوقع فإن الأرشيف العثماني[٤٧] يزخر بأعمال وإساءات المنظمات الأرمنية الثورية. فمعظم هذه المصادر الأولية متوافر بشكل مطبوع أو على ميكروفيلم[٤٨]، فهو يشكل جزءًا لا يتجزأ من استمرارية التاريخ العثماني ويرتبط بالعديد من الأمم والناس، التي عاش معها الأتراك سوياً أو جيراناً؛ وتم إنشاء عشرين دولة قومية تقريباً خلفاً للإمبراطورية العثمانية. وقد اضطلعت الجمهورية التركية، بناء على عدة اتفاقيات ثقافية، بمسؤولية التعاون مع الدول الأجنبية حول استغلال مواد الأرشيف على أساس متبادل. وقد عمل كثير من العلماء الأتراك والأجانب في هذه الأرشيفات لعدة عقود. وتُعَدُّ هذه الأرشيفات بشكل أساسي مثل التحف الوطنية حيث تضم أعداداً كبيرة من الوثائق التي تعبر عن جوانب الحياة الماضية كافة.

وتقدر الصفحات في هذه الأرشيفات حالياً بنحو مائة مليون ورقة قيمة، تم إعدادها منذ ١٨٤٦م. وقد قررت الجمهورية التركية سنة ١٩٣٥م تعليم خبراء وأمناء مكتبات خاصين من أجل تصنيف هذه الأوراق، كما اتخذت خطوات أخرى خلال السنوات القليلة الماضية للارتقاء بكامل الأرشيفات إلى المعايير المعاصرة بما في ذلك تحويلها إلى ميكروفيلم. وربما لا يمكن تصنيف وتحويل كل وثيقة في الأرشيفات العثمانية الضخمة إلى ميكروفيلم؛ فتجهيز قرابة مائة مليون ورقة يُعَدُّ

(46) Gerard J. Libaridian, ed., **Armenia at the Crossroads: Democracy and Nationhood in the Post-Soviet Era**, Cambridge, Mass., Blue Crane Books, Inc., 1991, p. 17.

(٤٧) حول تاريخ المادة التركية ومجالها ومادتها وقيمتها، انظر: Türkkaya Ataöv, **The Ottoman Archives and the Armenian Question**, Ankara, Sistem Ofset 1986.

(٤٨) يمكن العثور على قائمة بهذه المصادر في الجزء الخاص بالمراجع للمصدر التالي:

Ataöv, ed., **The Armenians in the Late Ottoman Period, op. cit.**, pp. 347-360.

وأيضاً في: Türkkaya Ataöv, "Procurement of Arms for Armenian Terrorism: Realities Based on Ottoman Documents," **International Terrorism and the Drug Connection**, Ankara, Ankara University, 1984, pp. 169-177.

مهمة صعبة للغاية، وكثير من هذه السجلات بالخط العربي القديم ولا يستطيع سوى عدد قليل من المختصين من جيل الشباب قراءته وفهمه. فعبر كل التاريخ العثماني والجمهوري، لم تكن مسألة تمزيق أية وثيقة أو التخلص منها مطروحة أبداً بالزعم أن هذه الوثائق ليست في المكان المناسب، فقد كانت هنالك قوانين صارمة ضد مثل هذا السلوك حتى في أثناء العهد العثماني؛ إذ كان معروفاً دائماً أن المخطوطات يتصل بعضها ببعض عبر الإشارات فيها وعبر محتواها.

وبناء على ذلك، تم الحصول على أولى نتائج الأبحاث حول القضية الأرمنية وتوزيعها على مراكز الأبحاث الرائدة والمهتمة بها في العالم. فإذا كان الهدف اكتشاف سياسة الحكومة العثمانية فيما يخص مواطنيها الأرمن، فيجب قبول الأرشيفات العثمانية كمصدر أساسي يُرجَعُ إليه. وعلى أنه يجب أخذ المواد في المؤلفات الأجنبية الأخرى في الاعتبار للحصول على وجهات نظر مختلفة وإجراء مقارنات، فإن تفسيرات التصرفات العثمانية ستكون موجودة في هذه المؤلفات نفسها أيضاً. وبالمثل، فإن المكان المناسب لتفسير السياسات الأمريكية تجاه ألمانيا، مثلاً، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٩- ١٩٣٩م)، سيكون المخزون الحكومي في واشنطن دي سي، وليس ملفات الرايخ.

وتسلط آلاف الوثائق العثمانية الضوء على كثير من الزوايا المعتمة من الإرهاب الأرمني أيضاً؛ إذ تزخر الأرشيفات القديمة بمخطوطات تحوي مادة أساسية حول الموضوع. فالتحليلات الخاصة بأحداث فترة التسعينيات من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى بحاجة إلى مراجعة وتعديل في ضوء المعلومات ذات الصلة الواردة في التقارير العثمانية. وتتفق نتائج كثير من الأبحاث الأرمنية العلمية، وتلك التي أجرتها أطراف أخرى، مع الأدلة العثمانية الكثيرة الدامغة التي تقول إنه مع نهاية القرن التاسع عشر عاشت هذه الأقلية التي كانت بالقرب من القوقاز حياة مملوءة بالتمرد على القانون والسلطة، وقد تسارعت وتيرة الأنشطة المسلحة المنظمة بعد الحرب العثمانية - الروسية سنة ١٨٧٧-١٨٧٨م، حيث أدت نتائجها إلى إيجاد الظروف المناسبة لتدويل القضية الأرمنية.

وتكشف الوثائق العثمانية معلومات كثيرة حول "الأحزاب السياسية" الأرمنية،

التي يمكن أن تتوافق أعمالها اليوم أكثر مع صورة المنظمات الإرهابية. وإن الشخص الذي أعطى تعليماته لأعضاء أرميناكان باستعمال التكتيكات العسكرية لم يكن أكثر من الرائد خامساراغان، وهو نائب القنصل الروسي من أصل أرمني في "وان"، إحدى المقاطعات العثمانية. فقد كان الأسلوب المنتظم للهينشاغ لا يتمثل بقتل المسلمين فحسب، بل قتل الأرمن أيضاً الذين رفضوا التعاون لتمويلهم على سبيل المثال. لقد كان الداشناغ أول من سلح الجانب الأرمني من سكان "وان". وناهيك عن المدارس الأرمنية والبنوك الأجنبية ومنازل الأفراد؛ فقد استعملوا بعض الإرساليات الأرمنية كمحطات وأماكن لتجميع الأسلحة التي يحصلون عليها من الدول المجاورة مثل روسيا وجورجيا، ومن الدول الأوروبية مثل فرنسا واليونان وسويسرا، وحتى من الولايات المتحدة الأمريكية. ولم تكن كمية السلاح قليلة أيضاً؛ ففي إحدى الحالات في مايو ١٨٩٤م، وصل إجمالي عدد الصناديق المملوءة بالبنادق، المتجهة إلى الأرمن، إلى ما لا يقل عن ٥١٦ صندوقاً. وكان يتم شحن هذه الأسلحة في العادة في مراكب أجنبية، أو يتم نقلها بكل بساطة عبر الحدود الشرقية من تبريز (بلاد فارس). وقد كان الهدف من السيطرة سيئة السمعة سنة (١٨٩٦م) على فرع البنك العثماني في اسطنبول من قبل ستة وعشرين عضواً جيدي التسليح من الداشناغ استدراج التدخل الأوروبي.

وقد هيمنت التعاملات المالية والعشوائية والوحشية على صفقات السلاح السرية وراح ضحيتها بعض الأساقفة الأرمن لعدم طاعتهم؛ فمثلاً، ذهب كل من الأب مامبري في أوسكودار (تسعينيات القرن التاسع عشر) والأسقف ليون توريان في نيويورك (١٩٣٤م)[٤٩] ضحيتي اغتيال بلا رحمة. وقد انصاع آخرون كثر. وكان يتم تهريب المدافع عبر الجمارك العثمانية؛ حيث كان يتم لفها كشموع ضخمة للكنائس، كما اكتُشِفَتْ أعداد ضخمة من الأسلحة تحت أرضيات خشبية لكنيسة

(٤٩) أدى الاغتيال الوحشي للثاني بواسطة أمريكي من أصل أرمني أن يُكتب الكتاب التالي:

K.S. Papazian, Patriotism, Perverted, Boston, Baikar Press, 1934.

وكذلك: Türkkaya Ataöv, An Armenian Author on "Patriotism Perverted" (Un Auteur Armenien s'exprime sur le "Patriotisme Perverti," Ein Armenischer Autor über "Patriotismus Missbraucht"), Ankara, Sistem Ofset, 1984.

الأرمن في هاسكوي في اسطنبول. وكانت هنالك أمثلة على إرهابيين يجري تعيينهم كرهبان في مثل هذه الكنائس؛ فمثلاً، تم تعيين نيشان ماناسيان قسيساً أرمنياً تحت اسم مستعار هو فاهان، وهو في الأصل من بلدة كارشامبا على ساحل البحر الأسود لكنه هرب إلى روسيا وعاد بجواز سفر مزور، كما قام هاغوب بإخفاء ٤٥ أُقَّة[٥٠] من الديناميت في خزائن بنك ليونيس الائتماني، وقد تم اكتشاف ديناميت وأسلحة وذخيرة في غرفة كارابيت دوغراماجيان، المدرس في المدرسة الأرمنية في غالاطه في إسطنبول، كما قام مدير المدرسة الفرنسية في منطقة هوكا اليزيد في بورصة بتقديم تدريب عسكري بأسلحة حقيقية إلى التلاميذ الأرمن واليونان.

وقد تم طرح سفك الدماء أمام الرأي العام الأوروبي (وفيما بعد الأمريكي) على أنه أحادي الجانب، أو على أنه "إبادة": حيث كانت الأرقام المبالغ فيها تصل إلى الآلاف في كل حالة. فمثلاً، كتب المؤلف الأرمني، أتش باسترماجيان أن ٣,٥٠٠ أرمني قُتلوا في تمرد ساسون سنة ١٨٩٤م[٥١] ويشير فخامة أيه دبليو ويليامز، بالاشتراك مع أرمني آخر، إلى رقم أكبر يساوي ٦٠٠٠[٥٢]، ويقول المبشر البروتستني إدوين بليس إن خسائر الأرمن كانت "٦٠٠٠ على الأقل"[٥٣]، وفي تعليق

(٥٠) الأُقَّة تساوي ٢,٨٣ رطلاً.

(51) Hrand Pastermadjian, **Histoire de t'Arménie**, Paris, Libarie Orientale H. Samuelyan, 1949 and 1971, p. 384.

(52) A.W. Williams and M.S. Gabrielian, **Bleeding Armenia: Its History and Horrors**, Chicago, Publishers Union, 1896, p. 331.

(53) Edwin M. Bliss, **Turkey and the Armenian Atrocities**, Philadelphia and London, Edgewood Publishing Co., 1896, pp. 370-371.

أعاد المبشر بليس العديد من كتابات وتوضيحات من سبقه من المؤرخين، حيث كانت توضح "ذبح الأبرياء... غير المسلحين المسالمين الأرمن... والمجازر المروعة ضد الأرمن... الذين ضربوا وقتلوا من قبل المسلمين المتطرفين المتعطشين للدم... ما أدى إلى مقتل حوالي ٥٠,٠٠٠ أو يزيد" فقط في ساسون لوحدها وفقط في سنة ١٨٩٦م. ويزعم أن الرسومات تذكر الأعمال الوحشية لقتل الرضع بالحراب، وخنق الأطفال، وتقطيع رؤوس النساء، ومن ثم غسل الدماء عن نصل السيوف. ولا يوجد أي من هذه المشاهد في شكل صور؛ بل هي سيناريوهات تم التحضير لها جيداً حيث يهدف كل جزء منها إلى تقديم "الجاني" المسلم أو التركي بأشكال وحشية. وقُدِّمت إحدى=

على رسم في الكتاب نفسه، يذكر أن "حوالي ٥٠,٠٠٠ أو أكثر" هو عدد من قتل في ساسون؛ إلا أن أول تقرير جمعه القناصل الأجانب حدد رقماً أقل من ذلك بكثير، أي ٢٦٥ دون أي ذكر لخسائر الأتراك(٥٤).

وهنالك عدة كتب أو تقارير وضعها كتاب أمريكيون وبريطانيون وروس وأرمن، سأشير إليهم ببعض التفصيل في الفصل الثامن من هذه الدراسة، تؤكد حقيقة ملحة. فقد أخذ جزء كبير من العالم الغربي في الحسبان القصة الأرمنية حول الاضطرابات، ولم يتم الاستماع كفاية لوجهة النظر التركية في الماضي. فتلك النظرة، بعد قرن تقريباً، لا تزال بحاجة إلى التعامل معها بشكل مختلف؛ فالاضطرابات كانت النتيجة المباشرة لحركة فوضوية واسعة الانتشار بدعم بعض القوى الغربية بشكل مقصود أو غير مقصود. ولو وضعت الحقائق في نصابها، فربما يتحول اللوم إلى المتسببين الحقيقيين في الثورة الدموية. فبعض الكتاب، على الرغم من عدم الاعتراف بهم كما يجب، عارضوا وصف أحد الطرفين كنموذج المسكين المطلق بينما الطرف الآخر وحشي. فالتحريف الواسع الذي تم للأحداث والذي أغرق الأناضول بالدم ـ ولاسيما القول إنها كانت هجمات لا مبرر لها من قبل المسلمين على المسيحيين ـ هو بكل بساطة غير صحيح؛ فالمقالات النارية ومواد الأخبار التي ظهرت في الصحف اليومية في المدن الغربية الرئيسة وكذلك التصريحات المتكررة من قبل الزعامات السياسية شجعت جماعات الأرمن أكثر على اللعب بالنار: فقد توالت الأحداث، كما تمت طباعة أرقام مبالغ فيها الواحد تلو الآخر، مما أعطى درجة من الواقعية للأسطورة المؤثرة. ومن الصعب أن تكون تلك

= الصور في الكتاب نفسه إلى القارئ كصورة لكنيسة آيا صوفيا الشهيرة، التي تُعدُّ مثالاً شهيراً على المعمار البيزنطي في القرن السادس؛ إلا أنها في الحقيقة مسجد السلطان أحمد الثالث (أو المسجد الأزرق). وهي تحفة من العمارة العثمانية التي أُنشئت بعد أكثر من ألف عام. ويتوقع المبشر بليس، الذي يرتكب مثل هذه السرقة في موضوع قريب جداً من عمله المهني والموقع الكائن في قلب اسطنبول حيث قضى سنوات، يتوقع من القارئ أن يقبل رسوماته، التي توضح إراقة الدم في جنوب شرقي الأناضول البعيد عن أنه يعكس الحقيقة.

(54) Kamuran Gürün, **The Armenian File: The Myth of Innocence Exposed**, London, K. Rustem & Bro. and Weidenfeld & Nicolson Ltd., 1985, p. 143.

الأحداث حالات من الإبادة الأحادية الجانب لشعب مدني مسالم، بل تمت استثارتها من قبل جماعات مؤلفة من مقاتلين مسلحين؛ حيث كان الأمر ينتهي في العادة بقتل متبادل لضحايا أقل بكثير من تلك التي ظهرت أعدادها في الغرب في ذلك الحين وحالياً. كما تكثر الإشارة إلى الأرمن في الأبحاث الغربية، على الرغم من المبالغة الكبيرة، لكن دون أية إشارة إلى القتلى في الجانب المسلم.

وقد قامت مجموعات الأرمن، بتأثير من الأطراف جميعها أو أحد الأطراف الثلاثة المكونة لها، بحرق المدارس التركية، وهدم الأماكن السكنية للمسلمين، ونهب المساجد وأماكن العمل أيضاً. فعلى سبيل المثال، قاموا باغتيال حاكم "وان" (١٨٩٥م) وقائد طرابزون (١٨٩٥م)، وأشعلوا النار في مسجد تبليس بينما كان يغص بالمصلين (١٨٩٥م)، وأحرقوا قرابة ألف محل عمل في ديار بكر (١٨٩٥م)، وقتلوا حوالي ألف آخرين من الأتراك (بينما خسروا هم أنفسهم ١٩) خلال أحداث ساسون (١٨٩٧م)[٥٥]، أما أحداث أضنه (١٩٠٩م) فهي "تمرين" على حرب أهلية مصغرة بين المسلمين والأرمن، ابتدأها الأرمن واستمرت ثلاثة أيام كاملة قبل أن تنتهي بسفك متبادل للدماء[٥٦]. وبينما تزخر الأرشيفات العثمانية بالوثائق الأصلية التي

---

(٥٥) انظر أيضاً: The British "Blue Books" and Turkey No. 1 (1896) as well as the British Ambassador's report: FO, doc. 424/184-5.

(٥٦) يسجل أحد الكتاب الأتراك كيف ولماذا أصبح الأرمن والمسلمون في الدولة العثمانية، الذين كانوا يحبون بعضهم بعضاً لقرون، أعداء وألقوا أطفال بعضهم من أعلى الجسور. وينسب سبب ذلك إلى "الذهب الروسي". وعلى أن هذا التفسير لا يكشف عن الأسباب المحتملة كافة، فإنه يشدد على المصالح الأجنبية التي كانت صحيحة لبعض الوقت.

Barbaros Baykara, **Sirzi: Nefret Köprüsü**, Istanbul, Akar Yayinlari, 1982.

وأيضاً يقر تقرير السفير البريطاني (FO, 424/219-83) بالمسؤولية الكبيرة للبطريرك الأرمني موشيغ، الذي حمل البندقية، وأطلق تصريحات عامة استفزازية ووزع الأسلحة على السكان الأرمن. وقد غادر إلى مصر هرباً من المحاكمة؛ بينما أدانت محكمة عثمانية عدداً من المسلمين وأحد الأرمن. وتعدُّ مذكرات محمد أصف، الذي كان حينئذ متصرفاً في إحدى مدن أضنة (سيبل-إي بيريكت، التي تعرف حالياً باسم دورتيول) رداً على ادعاءات موشيغ.

Mehmet Asaf, **1909 Adana Ermeni Olaylari ve Anilarim**, Ismet Parmaksizoglu, ed., Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1982.

تبين "الوجه الآخر من القصة". فإن عدداً من الكتابات الأرمنية يعترف أيضاً أنهم بدورهم سفكوا الدماء. وكما يعترف السفير البريطاني، فإنه لا يمكن إنكار الاستفزازات الأرمنية(٥٧)، ومع ذلك حاكمت السلطات العثمانية كلاً من الأرمن والأتراك لتحدي القانون، وكان السلطان كثيراً ما يعفو عن الأرمن المدانين، والمثال الشهير كان عندما خطط الأرمن لاغتياله في الحادي والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٥م.

والحالات الواردة أعلاه ما هي إلا مجرد أمثلة تكشف عن اللجوء إلى القوة من قبل تجار الموت، وبعض الحكومات الأجنبية والإرهابيين الأرمن؛ فالوثائق العثمانية واعترافات عشرات الكتاب الأرمن تبين أن الإرهاب كان حينئذ، كما اليوم، ظاهرة عالمية استُخدمت كوسيلة لتحقيق مآرب سياسية. على أن جماعات من الأرمن الجريجوريين، الذين اعترفت بهم الإدارة العثمانية بشكل منفصل، قد جُعِلُوا كاثوليكاً من قبل الفرنسيين لأنهم دسوا أنوفهم في الشؤون العثمانية المحلية، أو حُوِّلُوا إلى البروتستنتية من قبل المبشرين الأمريكيين، فقد حدث أن اعترف الأتراك مرة أخرى بالأرمن الجدد كأفراد من الجماهير التي تشكلت حديثاً لهاتين الكنيستين. ولو فرض العثمانيون على الأرمن هُوِيَّةً عرقية أو دينية مختلفة، فلن يكون هنالك أي سبب للثورة على أساس قومي أو ديني. ويقول المثل الأرمني: "تقول الشجرة للفأس: إنك لا تستطيع قطعي لو لم أمنحك اليد"(٥٨).

ويصاب المرء بالذهول وهو يرى درجة التشابه بين أهداف وخطاب وتكتيك الأرمن الإرهابيين في القرن التاسع عشر وتلك في ثمانينيات القرن العشرين. ويشير أحد المؤرخين الأرمن للإمبراطورية العثمانية إلى أن "خيوط الاستمرارية" تسري في تاريخ العنف السياسي الأرمني المسلح(٥٩)، فكلتا المجموعتين ـ اللتان يفصلهما قرن تقريباً ـ حاولتا تغيير المجتمع العثماني والتركي، الأولى من الداخل

(57) FO. 424/188, Nos. 149 and 169.

(58) Selwyn Gurney Champion, **Racial Proverbs**, London, Routledge, 1938, p. 346.

(59) Heath W. Lowry, "Nineteenth and Twentieth Century Armenian Terrorism: 'Threads of Continuity'," **International Terrorism and the Drug Connection, op. cit.**, pp. 71-S3.

والثانية من الخارج. فمثلاً، بدأ أسلوب احتلال المباني العامة والتهديد بقتل من فيها سنة ١٨٩٦م بالسيطرة على البنك العثماني، وليس سنة ١٩٨١م عندما احتُلَّت القنصلية التركية في باريس(٦٠). فهذه المخلفات تعود إلى عقود من التاريخ المر للعنف الأهوج.

٥- أبريل ١٩١٥م: تمرد مسلح

ويجب عَدُّ شهادة البروفسور دي أم لانغ الضعيفة التي يقول فيها إن هذا الشعب "لم يكن كله ملائكة"(٦١) على أنها تبسيط بائس للواقع. ويشار إلى أن لانغ مؤرخ بريطاني معروف بأعماله التي يدعمها الأرمن والتي تساند الأرمن أيضاً. فهنالك أعمال تركية منشورة ووثائق كثيرة في الأرشيفات العثمانية الغنية تمثل أدلة على ما نطلق عليه اليوم: الإرهاب المسلح، وهجمات العنف، والاغتيالات والقتل الجماعي للأتراك، والمشاركة الصريحة في الحرب العالمية الأولى من قبل الكتائب الأرمنية الثقيلة. وهي حقيقة معترف بها، وفي بعض الأحيان يُعلن عنها بفخر، في كتب ومقالات من تأليف الأرمن أنفسهم(٦٢). وتشير بعض المصادر الأرمنية بتطرف إلى أن لجوءها إلى السلاح كان العامل الحاسم في كسب الحرب من قبل أعداء الدولة

(٦٠) لقد كنت "شاهداً للسلطة" في المحاكم الفرنسية، حيث حوكمت مجموعتان من الأرمن المعاصرين وأدينتا سنة ١٩٨٤م وسنة ١٩٨٥م وذلك لهجومهما على القنصلية التركية، مما تسبب في مقتل موظف تركي وجرح آخر. ولزرعهما قنبلة في مطار أورلي مما تسبب بمقتل كثيرين.

(61) David Marshall Lang, **The Armenians: a People in Exile**, London, George Allen and Unwin, 1981, p.7.

(62) A. P. Hacobian, **Armenia and the War: an Armenian Point of View with an Appeal to Britain and the Coming Peace Conference**, London-New York-Toronto, Hodder and Stoughton, 1917. The same in French: Paris, H. Tourabian, 1918; G. Pasdermadijan, **Armenia: a Leading Factor in the Winning of the War**, tr. A. Torossian, New York, American Committee for Armenia, 1919, ------, **Why Armenia Should be Free? Armenia's Role in the Present War**, Boston, Hairenik, 1918, G. Korganoff, **La Participation des Arméniens à la guerre mondiale sur le front du Caucase: 1914-1918**, Paris, Imp. Massis, 1927, M.G., **La Défense héroique de Van**, Genéve, Droschak, 1916; R. Pinon, "L'Arménie belligérante," **La Voix de l'Arménie**, Paris, I (1918), etc.; General Gabriel Gorganian, "Armenian Participation in World War I on the Caucasian Front," **The Armenian Review**, Vols. XXIII (Spring 1968-Spring 1970).

العثمانية. وهنالك مصادر غربية موثوقة تقر وتصادق على مشاركتهم تلك(٦٣)، وهنالك رسالة شكر خاص من القيصر الروسي نيكولاس الثاني، موجهة (في الحادي والعشرين من أبريل ١٩١٥م) إلى الأرمن كافة، حيث يعبر لهم عن شكره على خدماتهم في تحقيق الأهداف العسكرية للجيش الروسي خلال الحرب.

ومن الممكن أيضاً أن تكون بداية هذه المرحلة من الجدال هي الشكوك العثمانية الجدية من ناحية أن الرعايا الأرمن كانوا منهمكين في الإعداد لتمرد؛ بينما شعر بعض الأرمن، من ناحية أخرى، أن مؤامرة كانت تحاك ضدهم. ومن الإنصاف القول: إن بعض الجنود الأرمن تركوا الخدمة في الجيش العثماني، لكن بعضهم كان على استعداد لبذل دمه من أجل البلاد على الجبهة. ومن الممكن أن يكون لهاتين الحقيقتين المتصلتين دور أكبر مما هو معروف عموماً. ففي الوقت الذي كان فيه إعدام الفارين من الخدمة العسكرية عملاً قانونياً، فإن الهاربين المذعورين ارتكبوا مزيداً من الجرائم في محاولتهم مقاومة القوى الظالمة لهم. وعندما أُخِذَ سلاح معظم الأرمن، أدى ذلك إلى قلق عميق لدى البقية منهم. فبالنسبة إلى أصحاب القرار العسكري، فإن تقارب الجنود الروس والأرمن في الشرق كان يمثل الحقيقة السائدة.

ويقتبس المؤلف الأرمني هاجوبيان كلام الحاكم التركي صفوت بيه في "وان"، وهي الإمارة التركية في أقصى الشرق، على النحو التالي: "إن الأرمن هم من يحاربنا أكثر من الروس"(٦٤)، كما يعزف باستمرار على وتر "خدمات الأرمن للقضية الروسية"؛ حيث يشير إلى العبارة التالية في دفتر ملاحظات ضابط تركي مقتول: "لو كان الأرمن لدينا يقاتلون إلى جانبنا، لكنا هزمنا الروس منذ زمن بعيد"(٦٥).

---

(٦٣) يقر بعض قادة القوى المنتصرة في الحرب ١٩١٤-١٨م بالدعم المسلح من جانب الأرمن:
D. Lloyd George, G. Clemenceau, A. J. Balfour, R. Cecil, J. Bryce and General E. H. H. Allenby, **Armenia's Charter: an Appreciation of the Services of Armenians to the Allied Cause**, London, Spottswoode, 1918; E. J. Robinson, "The Case of Our Ally Armenia," **Asiatic Review**, London, XV (1919); C.L. Leese, **Armenia and the Allies**, London British-Armenian Committee, 1920 .

(64) Hacobian, op.cit., pp.71f.

(٦٥) ورد في: Ruskala Vedemosti, no. 205.

ويؤكد الكتاب الأرمن باستمرار تقريباً على أن المساندة الأرمنية لروسيا، عدو العثمانيين على الجبهة الشرقية، كانت مباشرة ومؤثرة جداً؛ فقد قدموا لجيش القيصر "قرابة ١٥٠,٠٠٠ رجل"(٦٦)، كما جهزوا قوة متطوعين إضافية منفصلة تحت إمرة قادة عصابات مجربين وذوي خبرة، وكان ضمن هؤلاء القادة نائب في البرلمان العثماني، قاد كتيبتي المشاة والخيالة اللتين تدعمهما المدفعية(٦٧)، وعلى الرغم من أن قادة الأرمن العثمانيين أكدوا رسمياً للحكام الأتراك أنهم سيدافعون عن أرض الأجداد في حال وقعت حرب، إلا أن بضعة أعضاء بارزين في هذه القيادة، بمن فيهم ذلك البرلماني السابق، هربوا إلى الجانب الروسي. وبالفعل فإنه في اثنين من المؤلفات الأمريكية المدعومة أرمنيا، التي سنشير إليها في الفصل التاسع بَعْدُ، فإن أعداد المقاتلين الأرمن قُدِّرت أعلى من ذلك بكثير.

وكان الكونت آي آي فورونتسوف-داشكوف، الحاكم الروسي العام للقوقاز الذي كان يعمل وسيطاً بين القيصر والأرمني كاثوليكوس غفورج الخامس، قد حذر الأخير من أن "الأعمال الأرمنية على جانبنا (أي الجانب الروسي) وما وراء الحدود (الأراضي العثمانية) يجب أن تكون في حالة انسجام تام مع الأوامر"(٦٨)، وأضاف قائلاً: "أود أن أطلب منكم، عبر ممارسة تأثيركم على جماعتكم، في حال وقعت حرب روسية - تركية، أن تضمنوا أداء الأرمن لدينا، مع الأرمن القاطنين في مناطق الحدود، للواجبات التي ستوكل إليهم، وذلك في ظل الظروف الحالية السائدة في تركيا وفي المستقبل أيضاً"(٦٩)، وكان الطلب الروسي يهدف إلى إبقاء الأرمن على جانبي الحدود مستعدين للعمل في حال نشب نزاع مسلح.

---

(66) Hovannisian, op.cit., p .44.

(٦٧) للاطلاع على قائد أرمني مشهور: "Antranik," Blackwood's Magazine, Edinburgh, October 1915; Ararat, New York, Vol.XII, No. 3 (Summer 1970), pp.3-20; Andranik: Roman vécu d'un héros arménien, d'aprés le film édité par "Armenia Film," Paris, Ed. Mon Ciné, 1929.

ويصفه البروفسور هوفانيسيان باسم قائد "الوحدة الأرمنية الغربية". Hovannisian, op. cit., pp. 113-114, 135,137.

(68) Hovannisian, op. cit., p. 43.

(69) Esat Uras, The Armenians in History and the Armenian Question, Istanbul, Documentary Publication, 1988, p. 845.

وقد نظم القائد الأرمني (غارجوين باسدرماجيان)، النائب الأرمني السابق في البرلمان في اسطنبول، مجموعته لشن هجوم على مدينة "وان" العثمانية، وكان الجنرال أندرانيك أوزانيان، الذي قاد القوة الأرمنية في الجيش البلغاري ضد الأتراك في حروب البلقان، قد انضم مع رجاله إلى القوات الروسية؛ كما كانت وحدات مسلحة مماثلة، بقيادة كل من هامازاسب وكيري على استعداد للتحرك إلى أرضروم. وكان سامسون هاروتونيان، رئيس المكتب القومي (الأرمني) قد التجأ إلى القيصر مؤكداً له أن الأرمن كانوا "يسارعون في الالتحاق بصفوف الجيش الروسي المظفر، باذلين دماءهم في خدمة انتصار الجيوش الروسية"، وأضاف قائلاً: "فليرفرف العلم الروسي حراً على الدردنيل والبسفور"(٧٠). ويرتبط هذا الحنين بحملة غاليبولي الأسطورية، التي كتب فيها الجنود الذين كانوا يقاتلون ضد الأتراك إلى أوطانهم، وذلك كما ورد على لسان أحد الكتاب البريطانيين المرموقين، بشكل عفوي وصفه الكاتب "شهادة مخلصة كريمة حول شجاعة وفروسية الأتراك"(٧١)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الملاحظة، التي كانت في عام ١٩١٦م حين خاض البريطانيون والأتراك مواجهات فيما لا يقل عن خمس جبهات، هي لِعَدُوٍّ يقدر عدوه. وكان الداشناغ "قد تمردوا، واستولوا على المدينة القديمة بالقرب من بحيرة وان... (من أجل) فتح الطريق إلى داخل الأناضول"(٧٢).

وقد أشار قادة القيصر العسكريون والشخصيات العامة والصحافة إلى هذه الخدمات الأرمنية بعبارات براقة؛ إذ أشارت عدة بيانات عسكرية روسية إلى هذه الوحدات، التي اشتملت على أرمن أتراك، بعبارة "وحداتنا الأرمنية". وكان هنالك كثير من الضباط الأرمن ذوي الرتب العالية، بمن فيهم جنرالات في الجيش الروسي (مثل لوريس ميليكوف وتيرخوغاسوف). وقد شاركوا بشكل ملموس جداً

(70) Hovannisian, **op.cit.**, p. 45.

(71) C.F. Dixon-Johnson, **The Armenians**, Northgate, Blackburn, Geo. Toulmin and Sons, 1916; Türkkaya Ataöv, **A British Source (1916) on the Armenian Question**, Ankara, Sistem Ofset, 1985, p. 16.

(72) W.E.D. Allen and Paul Muratoff, **Caucasian Battlefields; A History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921**, Cambridge, Cambridge University Press, 1953, pp. 299, 301-302.

في نجاح القوات الروسية على مسرح القوقاز في الحرب، كما التحق أيضاً بضعة آلاف من الأرمن الأقوياء من فرنسا والأناضول بالفيلق الفرنسي الأجنبي، كما أن بعضهم جاء من الولايات المتحدة الأمريكية.

وليس من الصعب فهم أن ما يصفه الأرمن بـ"خدمة" أعداء العثمانيين هو، في الوقت نفسه بالنسبة إلى الأتراك، خيانة تقود إلى فصل الأراضي وخسارتها، وعلى الأرجح، للحرب. فإذا كان الدعم الأرمني للقضية الروسية بتلك القيمة بحيث إنه يحدد نتيجة الحرب نفسها، وهو ما تؤكده كثير من المصادر الأرمنية، فإن مشاركتهم لا يمكن أن تقتصر على الدفاع عن النفس. ولم يكن هنالك أي سؤال حول شك الأتراك بهم؛ فالأتراك الذين دعوهم ليكونوا إلى جانبهم، والذين كانوا على استعداد لبذل كل ما يلزم لإبقائهم موالين لدولتهم المشتركة، لم يحصدوا شيئاً من عدوانيتهم ضدهم، وهو دور يُنسب إلى الأتراك بشكل جائر وغير واقعي؛ فهنالك وثائق عثمانية جديرة بالثقة تشهد بما هو عكس ذلك تماماً، حيث تشهد بأمنيات الأتراك المخلصة نحو التعاون؛ فمثلاً، تشير إحدى الوثائق الأصلية، التي يعود تاريخها إلى الخامس من أبريل ١٩١٥م (أي قبل قرار الترحيل) إلى أمر الحكومة العثمانية بترميم كنيسة أرمنية[٧٣].

فحتى التعبير الشخصي للقيصر عن امتنانه لدعم الأرمن لجيشه قد تم قبل الترحيل، ولا بد أن يكون كل من امتنان القيصر ورد فعل الباب العالي قد تلا استخدام الأرمن السابق للسلاح بأشكال لا يمكن دحضها. وعندما تم تنفيذ القرار العثماني بترحيل معظم السكان الأرمن من مناطق الحرب، لم يقم أحد سوى القائد الفرنسي أم لارشر بتعداد الأسباب التي تبرر هذا الترحيل القسري وذلك في كتاب أعد مقدمته المشير فرانشيت داسبيري[٧٤]، ذكر فيه أن الأرمن قد "اتحدوا علناً مع

(73) Türkkaya Ataöv, **A Brief Glance at the 'Armenian Question'**, Ankara, Sistem Ofset, 1984, p. 28.

(74) M. Larcher, **La Guerre turque dans le guerre mondiale**, Paris, Etienne Chiron, 1926, pp. 395-396. "La population arménienne de la zone des opérations faisait ouvertement cause commune avec les Russes... Une partie ... evait ... émigré en Transcaucasie... s'enroler dans les bataillons arméniens organisés par les Russes ... Le quartier arménien de Van, transformé en forteresse... Le gouvernement turc decida... l'évacuation de la population arménienne de la zone des opérations..."

الروس... حيث هاجر بعضهم إلى أراضي القفقاس... والتحقوا بالكتائب التي نظمها الروس لمهاجمة الخطوط التركية... وحولوا الجانب الأرمني من "وان" إلى حصن... (وبالتالي) اتخذت الحكومة التركية القرار... لإخلاء السكان الأرمن من ساحة العمليات".

عندما قصفت اليابان بيرل هاربر في السابع من ديسمبر ١٩٤١م، استشاط الأمريكيون غضباً له أسبابه من اليابانيين، لكنهم صبوا غضبهم أيضاً على المواطنين من أصول يابانية الذين يعيشون بين ظهرانيهم في الولايات المتحدة الأمريكية[٧٥]، مع أن مجمل اليابانيين الذين كانوا يشكلون واحداً بالمائة فقط من سكان كاليفورنيا، وواحداً على عشرة من واحد بالمائة من سكان الولايات المتحدة، لم يكن من الممكن لهم تهديد دولة بذلك الحجم والقوة، كما أنه لم يلجأ ياباني واحد إلى القوة، أو رفع إصبعه ضد حكومة بلاده؛ لكن الصدمة التي تلت بيرل هاربر حولت كثيراً من البيض إلى عنصريين حقيقيين؛ إذ ساد لدى الغالبية العظمى منهم تعبير "الياباني يبقى يابانياً"[٧٦].

لقد دخلت الدولة العثمانية الحرب في التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٩١٤م، وقد كان إجمالي سكانها الأرمن، بمن فيهم الجريجوريون والكاثوليك والبروتستنت الذين يعيشون في مناطق بعيدة عن الحدود الغربية لكارز وثريس والشواطئ الجنوبية

---

(٧٥) بين مايو ١٩٤٢ ويناير ١٩٤٦م، أخذ حوالي ١٢٠.٠٠٠ ياباني-أمريكي من بيوتهم ووضعوا في معسكرات اعتقال- بعضهم لسنوات- نتيجة تهديدهم المفترض للأمن القومي. وقد أيد هذه السياسة الرسمية كل من قاضي القضاة إيرل وارين (حاكم كاليفورنيا)، ووليام راندولف هيرست (ناشر أمريكي كان لديه، في قمة ثرائه، ٢٨ صحيفة كبرى، و ١٨ مجلة، ومحطات راديو، وشركات أفلام، وقنوات إخبارية)، وولتر ليمان (أحد أرفع كتاب الأعمدة السياسية في العالم ومؤلف الرأي العام، وربما يعد عمله هذا الأكثر تأثيراً). وقد أوضح أستاذ القانون في جامعة ستانفورد (تشارلز فيرمان، كاتب "قانون الحكم العسكري والأحوال الطارئة القومية"، في (Harvard Law Review, 55/8, June 1942, pp.1253-1302 أنه كان هنالك ما يكفي من عدم الولاء، "الكامن إن لم يكن نشطاً"، بين الجالية اليابانية ما يجعل من "المناسب إخلاء الجميع". للاطلاع على معاصرين يعالجون هذه "اللعبة الفكرية": انظر: Tara McKelvey, "Rogue Scholars," **The Nation**, 28/22 (26 December 2005), p. 36.

(76) "No Japs Wanted," **This Fabulous Century**, Vol. V, 1940-1950, New York, Time-Life Books, 1971, pp. 201-206.

للبحر الأسود إلى الصحارى العربية، يعادل تقريباً أقل من ١,٣٠٠,٠٠٠ نسمة، ويرى آخرون أن الرقم أعلى من ذلك بقليل. وبحسب باحث خبير مرموق[٧٧]، تقدم الإحصاءات العثمانية، وكتب الولايات السنوية، والمواد الأرشيفية حقائق وأرقاماً موثوقة حول السكان العثمانيين لكل المجموعات الدينية، وتُعَدُّ مثل هذه البيانات المصدر الأساس لدراسة السكان العثمانيين، سواء أكانوا مسلمين أم أرمن.

وسرعان ما وجدت السلطات العثمانية نفسها في وضع صعب للغاية؛ فقد انضمت إلى قوة ألمانية - بلغارية لمواجهة الرومانيين والروس في كوستانزا[٧٨]، وظهور القوات البحرية البريطانية والفرنسية على مداخل مضيق الدردنيل ولديها مهمة فتح البوابة التي تؤدي إلى عاصمة العثمانيين وربما تدميرها هو أمر معروف جداً[٧٩]، وقد كانت القوات البريطانية، التي حصلت على تعزيزات من دول الكومونولث، موجودة أصلاً في شبه جزيرة سيناء، وفلسطين، والبصرة، التي كانت جميعها في تلك الفترة أراضي عثمانية، وقد كانت القوات التركية في وضع حرج، ولاسيما في وجه الأعداء الروس، الذين كانوا يفوقونها عدداً وعتاداً ويدعمهم الأرمن. وقد كانت هنالك عدة كتائب من الجيش العثماني الثالث (قرابة ٧٠,٠٠٠ رجل) أجبروا قوات القائد الروسي الجنرال ميشليفسكي على التراجع، لكنها كانت ضعيفة التجهيز وشحيحة التموين؛ حيث تجمدت تلك المجموعات حتى الموت خلال

(77) Justin McCarthy, **Muslims and Minorities: the Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire**, New York-London, New York University Press, 1983, especially pp. 163-173, 175-178.

ويكتب إليوت غرينل ميرز، وهو عضو سابق في بعثة الجيش الأمريكي إلى أرمينيا ودول القوقاز، قائلاً: "بحسب التقارير التي كتبها مارسيل ليارت (اسمه الأرمني الأصلي: كريكور زهرات) سنة ١٩١٣م أنه كان هنالك ٨٠٣ مدارس أرمنية و ٨١,٢٢٦ طالباً في تركيا. وكان السكان الأرمن في تركيا في ذلك الوقت نحو ١,١٢٥,٠٠٠ نسمة".

Modern Turkey, New York, Macmillan, 1924, p. 127.

(78) Francis Whiting Halsey, **History of the World War**, Vol. VIII, New York and London, Funk and Wagnalls Co., 1920, pp. 331-332.

(79) **The Story of the Great War**, Vol. IV, New York, P.F. Collier, 1916, pp. 344f.

حملة الشتاء الكارثية (١٩١٤م) بالقرب من مرتفعات صاري قاميش، وهددت أوبئة الكوليرا والتيفوئيد أرواح البقية. وقد استعاد الروس أراضيهم التي خسروها، ومن ناحية أخرى اخترقوا عابرين إلى الأراضي العثمانية. وحسبما يقول البروفسور هوفانيسيان، فإن الفيلق الأرمني الخاضع إذ ذاك لقيادة الجنرال الروسي ترخين كان "قد كُلِّفَ بمهمة طرد الأتراك من الشاطئ الجنوبي للبحيرة (بحيرة وان) كاملاً استعداداً لتحرك روسي منسق إلى إقليم بيتليس"(٨٠).

وفي ظل هذه الظروف، التي كان واضحاً أنها في غير صالح الأتراك، بدأ الروس تجنيد مزيد من المجموعات الأرمنية المتطوعة، وكانت هذه المجموعات قد بدأت بقطع طرق إمداد الجيش العثماني ومهاجمة الوحدات النظامية، وكذلك القرى والبلدات المسلمة. وكان المخطط يهدف إلى إضعاف القوات الشرعية تحت ضغط السلاح وإجبار السكان المدنيين على الهرب من شرقي الأناضول؛ مما يمكِّن الغزاة الروس في النهاية من إنشاء دولة أرمنية هناك تكون صديقة لهم. وحتى الكتابات الغربية، التي كتبت سنة ١٩١٦م في أثناء استعار الحرب، فإنها كثيراً ما تعترف بالحقيقة الدامغة بأن الأرمن قاموا في الواقع باحتلال "وان"(٨١). وفي الرابع والعشرين من شهر أبريل ١٩١٥م، أي قبل أسبوعين من وصول ثورة الأرمن في "وان" إلى ذروتها، كانت الأوامر العثمانية قد صدرت بإغلاق مقرات اللجان الأرمنية في اسطنبول واعتقال قادتها. ولم تكن هذه الخطوة اعتقالاً جماعياً أو دعوة لترحيل السكان؛ فأطفال الأرمن وأحفادهم من الذين بقوا في اسطنبول حينذاك كانوا يشكلون أقلية معقولة في تلك المدينة الكبيرة، وكان قد مضى شهر آخر قبل أن يشير نائب القائد العام للقوات المسلحة، أنور باشا، بترحيل الأرمن بعيداً عن مناطق الحرب.

وكان التفوق الأرمني في "وان" مع عدم وجود أي أثر للسلطة العثمانية الرسمية أمراً لا نقاش فيه بحلول العشرين من أبريل ١٩١٥م، أي قبل صدور أمر الترحيل. وقد كانت هذه الحقيقة واضحة جداً في أعين الأتراك، ويجب أن تكون بنفس

(80) Hovannisian, op. cit., p. 56.

(81) The Story of the Great War, op. cit., p. 378.

الوضوح للأطراف الأخرى العادلة والمحايدة، فعندما تم ترحيل المواطنين الأمريكيين من أصول يابانية إلى مكان آخر للاعتبارات العسكرية، وذلك في بداية دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية، لم تكن هنالك أدلة على حالات "تجسس أو تخريب"، كما أن مكتب الدعاية في زمن الحرب "ويلينغتون هاوس"، والشاب في ذلك الحين، ـ الشهير فيما بعد ـ أرنولد جيه توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥م) والذي كان يعمل كمعين هناك، والدكتور المتحيز جوهانز ليبسيوس الذي كلف من قبل مختلف الجمعيات البروتستانتية الإنجيلية بالذهاب إلى شرقي الأناضول، لكنه لم يطأ أي جزء من آسيا الصغرى، وكذلك السفير الأمريكي هنري مورغنثاو الذي كانت تقاريره قائمة على البِدَعِ، لم يكونوا جميعا، بكل تأكيد، أطرافاً "عادلة ومحايدة".

وتُعَدُّ حقيقة التمرد المسلح النقطة الحاسمة في الجدال؛ فلم يكن الجنود الأتراك فقط هم من دخل المدينة بعد الثالث من أغسطس سنة ١٩١٥م، بل كان هنالك عدد من الضباط الروس الذين صُعِقُوا عندما شاهدوا الجرائم والخراب الذي ارتكبه الأرمن. وكما تم اقتباس كلامه بكل وضوح، فإن القائد الفرنسي "أم لارشر"، وهو شخصية عسكرية بارزة من فرنسا، ذكر بصراحة في مذكراته أن السكان الأرمن في نطاق العمليات كانوا يشتركون علناً في نفس القضية مع الروس، وأن أعداداً كبيرة قد هاجرت إلى الجانب الآخر من حدود القوقاز، وشكلت كتائب لتحارب جنباً إلى جنب مع أعداء الأتراك، وأنهم قاموا باستمرار بمهاجمة القوافل المسلمة، وأنهم حولوا الأحياء الأرمنية في "وان" إلى حصن مسلح، وأن هذه كانت الأسباب وراء الترحيل النهائي.

٦- ترحيل، خطوط عريضة وعنف

إن القرار العثماني المختلف بشأنه والخاص بترحيل الأرمن، والذي اتُّخِذَ في البداية من قبل طلعت بيك (طلعت باشا القائد المدني فيما بعد) بصفته وزير الداخلية، ومن ثم صادق عليه مجلس الوزراء، قد اتُّخِذَ رداً على التمرد وسفك الدم في "وان" واحتلالها المشترك من قبل المهاجمين الروس والأرمن. كما أن أنور باشا نائب القائد العام للقوات المسلحة، الذي أشار بالحاجة إلى إبعاد الأرمن من المنطقة

المحيطة ببحيرة "وان" والمناطق المحيطة بها، قد اعتمد في قراره (في الثاني من مايو ١٩١٥م) على بديلين: إما إرسالهم عبر الحدود القوقازية رداً على طرد الروس للسكان المسلمين، أو إسكانهم في المناطق الجنوبية. وقد ترك أنور باشا لوزارة الداخلية اختيار وتنفيذ أفضل حل. ويمكن أن يؤخذ ذلك الأمر، الذي كان سرياً حينئذ، على أنه أول دلالة على الترحيل.

وبما أن مؤخرة القفقاس، والحدود العثمانية- الإيرانية، ومنطقة مرسين- الإسكندرونة في شرقي المتوسط، وجبهة سيناء، في الجنوب، كانت جميعاً بحاجة إلى حماية، فقد شعر طلعت بيك بوجوب البدء بالترحيل الجزئي دون قرار من مجلس الوزراء أو البرلمان (حيث لم يكن الأخير منعقداً في تلك الفترة). وأمرت عدة منشورات أرسلت إلى الأقاليم بإسكان الأرمن في الأجزاء الجنوبية من الدولة العثمانية؛ حيث ترافقت مع تطمينات بأن القضاء عليهم ليس بالأمر الوارد أبداً. وكان على السلطات ضمان أمنهم، وإطعامهم بشكل مناسب. وكانت إجراءات صارمة تتخذ ضد من تعرضوا لهم، بمن فيهم مسؤولون ورجال درك، وكان يمكن إخضاع رجال الدرك لمحاكم عسكرية. وكان مجلس الوزراء قد صادق في الثلاثين من مايو سنة ١٩١٥م على إجراءات الترحيل.

وقد استُثني بعض الأرمن في البداية من الترحيل، وهم القاطنون في مناطق معينة (مثل أدابازاري، وحلب، وأيدن، وبيريجيك، وبولو، وجانيك، وجناق قلعة، وإدرنة، وقسطمانو، وقرة حصار، وقونية، وتيكرداغ، التي كانت بعيدة عن الحدود، وحتى طرابزون وأجزاء من أرضروم التي كانت قريبة نسبياً). أما الآخرون الذين تم استثناؤهم فهم: المرضى، والمعاقون (العمي وما شابه)، والأيتام، والأرامل؛ والأرمن الكاثوليك والبروتستانت؛ والموظفون الحكوميون في الدولة العثمانية؛ والضباط والجنود والأطباء والمرضون العاملون في الجيش؛ وبعض التجار؛ وبعض عمال البناء؛ ومراقبو العمال؛ والعاملون في البنك العثماني، وإدارة التبغ، وفي بعض السفارات والقنصليات الأجنبية. وقد شملت هذه الاستثناءات أفراد العائلات المستثناة، وقد سُمح لهم جميعاً بالبقاء شريطة الولاء للدولة. أما الذين اشتركوا بأعمال ضارة للدولة من بينهم، في أعين المسؤولين، سواء أكانوا على حق أم باطل، فقد تم ترحيلهم فيما

بعد. وبعد عام تقريباً، طُلب إليهم العودة والسكن في بيوتهم السابقة.

وكان يحق للأرمن الذين رحلوا أن يأخذوا معهم ممتلكاتهم المنقولة، وقد تم إصدار مجموعة من الخطوط العريضة فيما يتعلق بالممتلكات غير المنقولة. وحدد توجيه رئيس الوزراء في الثلاثين من مايو ١٩١٥م الخطوط العامة، التي اشتملت على أوامر تتعلق بالسلامة، والأموال اللازمة للعناية بهم، وإقامتهم، وأدوات العمل، والبذور بالنسبة للمزارعين، والاهتمام بالممتلكات التي تخلوا عنها. وكان على المسؤولين المحليين والهيئات الخاصة، حيث أنشئت الأخيرة لهذا الغرض، مراقبة حماية الممتلكات المتروكة إلى حين عودة المالكين الفعليين.

وعلى الرغم من اختيار أكثر الطرق أمناً وأقصرها أيضاً، واستغلال خطوط السكك الحديدية والأنهر حيثما أمكن، إلا أن الترحيل لم يكن دون مصاعب. ويقول رئيس الوفد القومي الأرمني إلى مؤتمر باريس للسلام، بوغوس نوبار باشا، في مذكرة رسمية (مطبوعة) بتاريخ الحادي عشر من ديسمبر ١٩١٨م، موجهة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، إنه: "تم ترحيل ما بين ٦٠٠,٠٠٠-٧٠٠,٠٠٠" أرمني، وأن ما "مجمله ٣٩٠,٠٠٠" وصلوا إلى وجهاتهم في القفقاس (٢٥٠,٠٠٠)، وبلاد فارس (٤٠,٠٠٠)، وسوريا وفلسطين (٨٠,٠٠٠)، والموصل وبغداد (٢٠,٠٠٠). وبحسب هذه الوثيقة الأرمنية المهمة التي وقعها شخص معروف يمثل الجالية الأرمنية في لقاء دولي يهيمن عليه المنتصرون في الحرب العالمية الأولى، فإن الفرق بين مجمل أرقام المغادرين والواصلين هو ٢٦٠,٠٠٠، لكنه لا يقول إن هذا الرقم يمثل أولئك الذين قُتلوا وهم في الطريق.

ويذكر مدير مجمع التاريخ التركي، اعتماداً على الأرشيف العثماني[٨٢] رقمين إجماليين آخرين يختلفان عن الرقم أعلاه. ويشير إلى أن حوالي ٤٥٠,٠٠٠ أرمني قد رُحِّلوا، وأن مقتل أقل من ١٠,٠٠٠ فرد يمكن التحقق منه على أساس الوثائق. ومن ثم، فإنه يتفق بشكل أساسي مع بوغوس نوبار باشا على أن غالبية المرحلين

(82) Yusuf Halaçoglu, "Realities Behind the Relocation," **The Armenians in the Late Ottoman Period, op. cit.,** pp. 109-142; ------, **Facts, on the Relocation of Armenians: 1914-1918,** Ankara, Turkish Historical Society, 2002, pp. 83f.

وصلوا إلى وجهاتهم. فالمؤرخ التركي الذي يصر على أن الحكومة "نجحت في نقل الأرمن المرحلين إلى مستعمراتهم بطريقة منظمة" هو مصيب بشكل عام. فمن المؤكد أنه يقر، مرة أخرى على أساس وثائق عثمانية موثوق بها، بأن بعض الجرائم أيضاً سُجلَت من قبل السلطات التركية المحلية، المدنية والعسكرية، حيث رفعوا التقارير إلى رؤسائهم الإداريين حول حالات الهجوم. وقد أرسل كثير من المسؤولين والمسلمين المؤثرين بشكاوى إلى العاصمة العثمانية أو عبروا عن عدم موافقتهم على البدء بأمر الترحيل. وبغية دعم ما توصل إليه القائم على الأبحاث الدقيقة في الأرشيف العثماني، يشير مدير جمعية التاريخ التركي إلى تقرير بتاريخ الخامس عشر من أغسطس ١٩١٥م رفعه إدوارد ناتان، القنصل الأرمني في مرسين، موجه إلى السفير هنري مورغنثاو، والذي يقول فيه إن بعض الأرمن اشتروا تذاكر وسافروا بالقطار، وأن الحكومة لم تسمح بأي عنف أو فوضى(٨٣)، كما يشير إلى خطاب آخر، موجه إلى السفير مورغنثاو، لكن اعترضته الشرطة العثمانية السرية، وذلك بتاريخ الثالث والعشرين من أغسطس ١٩١٥م (١٢ شوال ١٣٣٣هـ)، مترجماً ومرسلاً من قبل القنصل الأمريكي ليزلي إيه ديفس في Mamurettülaziz (معمورة العزيز). وقد يفاجئ ذلك بعض الأطراف، لكن الأخير يسجل معلومات عن الجرائم التي ارتكبها الأرمن خلال الترحيل(٨٤)، وليست إشارتي إلى هذا المرجع محاولة مني لتصوير ترحيل ١٩١٥م على أنه تصرفات وحشية قام بها الأرمن، لكن للتعريف بتقرير ممثل دبلوماسي غربي مبني على حقائق مغايرة، لكنها ليست معروفة للكثيرين.

ومن جانب آخر، من المؤكد أن هجمات قد وقعت على الأرمن. إلا أنه يجب ألا تُذكر مثل هذه الهجمات الجسدية، أو تكرر المرة تلو الأخرى دون أي اعتراف إطلاقاً بالإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية. فمعظم الهجمات شنتها عصابات، وأفراد ذوو ميول إجرامية أو جماعات تسعى للانتقام مؤلفة من أتراك، وأكراد وفلاحين عرب، وذلك بين حلب والزور، ووقع بعضها على الطريق بين أرضروم

(٨٣) المصدر السابق، ص ١١٨.

(٨٤) المؤلف السابق نفسه.

وأرضنكان. وقد واصلت الغالبية العظمى من الأرمن رحلتها، حيث وصلت إلى مبتغاها، أحياناً بطريقة آمنة، وأحياناً في حالة من الإعياء الشديد. وقد تسلمت السلطات في كل محطة على الطرق برقيات مشفرة تأمرها باستخدام الوسائل الممكنة لمنع الهجمات. وعندما كان مسؤولو الحكومة يرفعون تقارير حول كمائن وهجمات وقتل، كانت الإدارة المركزية في اسطنبول ترد بتوبيخ قوي وتطلب معرفة كيف تمت محاكمة الفاعلين أمام القضاء. وكانت على الفور تنشئ لجاناً محلية للتحقيق، تضمنت سلطاتها أمن المسؤولين العامين، والدرك والشرطة، الذين تمت تنحية كثير منهم من مناصبهم، وأُخضعوا لمحاكم عسكرية ونالوا العقاب. كما كان المزيد من المحاكمات والأحكام، بما في ذلك عقوبة الإعدام، بانتظارهم في نهاية الحرب.

إلا أن أعداء تركيا خلال الحرب، ولاسيما مجموعة من مروجي الدعاية المصادق عليهم بريطانياً، والسفير الأمريكي في اسطنبول (الذي مثل قوة غير معادية لكنه شخصياً كان مهتماً بهزيمة الدولة العثمانية ونزع سلاحها)، وراهب ألماني كان يقوم بحرب صليبية بالنيابة عن دوائر دينية منحته شيكات على بياض وتوقعت منه تحقيق "مهمات" معينة، ومجموعة من الكتاب الأرمن الماكرين الذين استخدموا "وثائق" كاذبة، كل هؤلاء عملوا جميعاً على تبديل الأحداث وتشويهها وتحريفها عن طريق الحذف والمبالغة وأحيانا الكذب جملة وتفصيلاً. إن مآسي الحرب والإحساس بالعدل من جانب المنتصرين كانت قوية بشكل لم يكن فيه أحد تقريباً على استعداد لسماع الحقيقة عن الأتراك. فقد وضعوا آراء معينة، غذتها بعض الوثائق التي كانت - في جزء كبير منها - غسيل دماغ بالكذب، وحرباً طائفية "مقدسة"، واعتبارات لسياسات القوى في عصر كان يعاد فيه تقسيم العالم لمصلحة الدول الأقوى. ولم يوجد مكان للنقاش التركي، أو لأدلته في شكل شهادات، أو سجلات أو وثائق، في مثل هذه اللعبة. وكان الإعلام ينقل فقط المنشورات المضادة للأتراك في عام ١٩١٥م وما بعد ذلك، مثلما كان الحال في تسعينيات القرن التاسع عشر.

لقد أسس تشارلز فردريك غيرني ماسترمان، وهو عضو سابق في مجلس الوزراء البريطاني، مكتباً في موقع يسمى "ويلينغتون هاوس"، حيث كان الهدف

المعلن نشر "المعلومات"، في شكل كتب ونشرات ودوريات وملصقات وبطاقات بريدية وصور ورسوم ومعارض وخرائط، تدور كلها حول الجهود البريطانية في دعم قضية الحلفاء، وركزت على "جرائم" ألمانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م(٨٥) وكان الهدف الرئيس للمكتب التأثير على حكومات وشعوب الدول المحايدة، ولاسيما الولايات المتحدة، وحثها على الانضمام إلى جانب الحلفاء في الجهد الحربي. وقد نسق المكتب عمل ثمانية أقسام دعائية مختلفة، كان أهمها يتعلق بأمريكا. وقد وزع المكتب بريدياً ١٧ مليون نسخة من مختلف المنشورات في المملكة المتحدة وحدها، وباع أو وزع، عبر وسائل أخرى، الكثير في دول أجنبية.

إن أحد الكتب التي كتبها أرنولد جيه توينبي، الذي كان حينها كاتباً صغيراً ذا رسالة، كان بعنوان الجرائم ضد الأرمن(٨٦)، الذي تبين أنه أول "الكتب الزرقاء" البريطانية. ولا توجد فيه أية إشارة للمنهجية، أو المقارنة المجهدة بين المصادر الوفيرة، التي استخدمها توينبي في سنواته التالية في أثناء جمع أعمال ناضجة مثل دراسة تاريخ(٨٧)؛ بل على العكس، كان كتابه الأول قد بُنِيَ على مصادر أرمنية ومادة أخرى أحادية النظرة مثل قصة السفير مورغنثاو، حيث إن التحقق من دقتها

---

(٨٥) سيرة حياته التي كتبتها زوجته دعماً له:

Lucy Masterman, C.F.G. Masterman, London, Nicolson and Watson Ltd., 1968.

وأيضاً: Michael Sanders and Philip M. Taylor, **British Propaganda During the First World War: 1914-1918**, London, Macmillan, 1982.

(86) Arnold J. Toynbee, **Armenian Atrocities: the Murder of a Nation**, London, Hodder and Stoughton, 1915. In French: **Les Massacres arméniens**, Paris, Payot, 1916. Also by Toynbee: **Documents Relating to the Treatment of Armenian and Assyrian Christians in the Ottoman Empire and Northwestern Persia**, London, 1916; **The Murderous Tyranny of the Turks**, London, Hodder and Stoughton, 1917; **The Western Question in Greece and Turkey: a Study in the Contact of Civilizations**, Boston, Houghton Miffilin, 1922; **Turkije**, London, The Memphis Printing Co., 1917.

(٨٧) للاطلاع على النقد الذي قدمته لمحاولة توينبي ابتداع فلسفة جديدة للتاريخ، انظر:

Türkkaya Ataöv, "History and Prof. Toynbee. A Critique of Western Interpretation," **The Turkish Yearbook of International Relations: 1968**, Ankara, University of Ankara, 1971, pp. 40-63

لم يكن يهم مكتب ماسترمان. فقد كانت مهمته، التي أكد أنها وطنية، إضعاف العدو بكل السبل الممكنة، بما في ذلك تشويه سمعة الناس والقادة والحط من أقدارهم. وبينما وصلت بعض الادعاءات التي صدرت في الأساس عن مكتب ويلينغتون إلى العامة عبر ناشرين أو موزعين محليين وكأنها لا تتصل بالحكومة البريطانية أو مكتب دعايتها، كان البعض الآخر أوفر حظاً بالمصادقة عليه رسمياً مثل اسم اللورد برايس. وفي كلا الحالين، سيتم تشويه سمعة أمة بكاملها لأغراض حربية، وسوف يبقى التأثير الناجم دون تغيير، بل سيزيد من مأساوية الوضع، إذا كان الطرف المفتري منتصراً في نهاية النزاع المسلح. وقد كشف عدد من الكتاب الغربيين المعتدلين هذا التشويه الأحادي الجانب والعشوائي للمعلومات، وذلك بعد مرور عقود، حيث ساعد هذا الكشف في تحقيق التوازن في الحقائق، لكن ذلك جاء متأخراً جداً فلا يلغي الضرر الذي وقع[88]، وفي حالة العلاقات الأرمنية-التركية، عرف بعض الكتاب الأتراك[89] وبعض المراقبين الأجانب طوال عقود أن مكتب ماسترمان كان مركزاً للدعاية، وهي حقيقة اعترف بها المؤرخ توينبي نفسه، وأن النتائج المتسرعة التي تم استخلاصها أو افتراضها تحت حمى الحرب وغليانها لا يمكن أن توضح الحقيقة الكاملة.

وحتى "الكتاب البريطاني الأزرق" الذي يستخدم مصادر غامضة، يعترف في

---

(٨٨) على سبيل المثال: Arthur Ponsonby, **Falsehood in War-Time**, New York, E.P. Dutton and Co., 1928, 1971; Cate Haste, **Keep the Home Fires Burning: Propaganda in the First World War**, London, Allen Lane, 1977.

(٨٩) ذكرت أنا شخصياً غسيل المخ المريع الذي كان يقوم به مكتب ماسترمان، ودور الشاب توينبي في محاكمتي باريس الأولى (١٩٨٤م) والثانية (١٩٨٥م) للإرهابيين الأرمن واللقاءات الدولية اللاحقة في جنيف في مقرات الأمم المتحدة وجلسات ستراسبورغ للجمعيات الأوروبية ونشرتها (مع إشارة واضحة لمذكرته بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١٩م)، في النصوص الحرفية المطبوعة وكذلك مقالتي التالية: "Morgenthau's Story", **Turkish Daily News**, 2 and 3 October 1990. كما أشرت حينها إلى أن توينبي اعترف أيضاً في خمسين صفحة في مؤلفه اللاحق (١٩٢٢)، بعنوان "المسألة الغربية: اليونان وتركيا"، قائلاً بأن "الكتاب الأزرق" كان دعاية للحرب.

الملحق "و "بأن ٩٨٩,٩٠٠ أرمني[٩٠] وصلوا إلى وجهاتهم، ويضيف قائلاً: "لو أضفنا هذه الأعداد إلى السكان الأرمن غير المرحلين في القسطنطينية وسميرنا، البالغين ١٥٠,٠٠٠ تقريباً في مجملهم، فسوف نقدر إجمالي الناجين بنحو ١,١٥٠,٠٠٠"[٩١].

إن قصة السفير مورغنثاو[٩٢] هي كتاب موقع من السفير هنري مورغنثاو، وهو مستثمر عقارات سابق من نيويورك كان قد كُلِّفَ بمهمة سياسية كمسؤول دبلوماسي في العاصمة التركية لدى انتخاب وودرو ويلسون رئيساً (١٩١٢م). وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات، ولا يزال يُطْبَعُ ويُرْجَعُ إليه، دون تحفظ، في الكونجرس الأمريكي. وهنالك إشارات كثيرة إليه، بما فيها اقتباس فقرات، حتى في الكتب المدرسية الأمريكية في المرحلة الثانوية.

وكان كتاب السفير المصدر الأساسي لثلاثة مؤلفات مؤثرة مناهضة للأتراك في أثناء الحرب، متصلة باللورد برايس، والشاب توينبي، والقسيس ليبسيوس. فكثير من القصص التي وقَّعَ عليها كل من اللورد برايس وتوينبي كان قدمها السفير مورغنثاو، الذي علم بها من المستشارين الأرمن المقربين من السفارة في اسطنبول. وفي بعض الأحيان، كان وزير الخارجية، السير إدوارد غراي، يوقع على مواد العلاقات العامة هذه ليضفي عليها مصادقة رسمية. وقد كان غراي جاهلاً تماماً

---

(٩٠) الأرقام التي وردت في الكتاب هي على النحو التالي بحسب الأماكن التي وصل إليها الأرمن وأعداد الناجين: حلب، ودمشق والزور (٤٨٦,٠٠٠)؛ اللاجئون في أجزاء أخرى من تركيا (٣٠٠,٠٠)؛ قفقاس روسيا (١٨٢,٨٠٠)؛ الأرمن في مقاطعات تركية احتلتها روسيا (١٢,١٠٠)؛ والأرمن في سالماس، وبلاد فارس (٩,٠٠٠)، الإجمالي: ٩٨٩,٩٠٠ . **معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية**، ص ٦٦٤. ويذكر الكتاب في الصفحة نفسها "المرض" و"المجاعة" بين أسباب الموت.

(٩١) المؤلف السابق نفسه.

(92) Henry Morgenthau, **Ambassador Morgenthau's Story**, Garden City, New York, Doubleday, Page and Co., 1918. Others signed by the same author: **Secrets of the Bosphorus**, London, Hutchinson and Co., 1918; **The Tragedy of Armenia**, London, Spottiswoods, Ballantyne and Co., 1919; **All in a Life-Time**, Garden City, New York, Doubleday, Page and Co., 1922.

بالقضية الأرمنية، حيث أشار كُتَّابُ السِّيَرِ البريطانيين إلى افتقاره إلى المعرفة الكافية. وفيما يتعلق بالأرمن، كان اللورد برايس جاهلاً في الدعاية. ويصفه كاتب بريطاني (فيليب نايتلي)، الذي درس هذا الجانب من اللورد برايس، بأنه كاتب بأسلوب "الدكتور جوبيلز". وقد تعرف مورغنثاو إلى اللورد برايس خلال رحلة إلى فلسطين (١٩١٤م). وفي رسالة إلى مورغنثاو بتاريخ السابع من أغسطس سنة ١٩١٥م، طلب برايس من السفير الأمريكي تزويده بمادة يمكنه استخدامها في خطط الدعاية في ويلينغتون هاوس.

وكان مورغنثاو مصدراً أساسياً أيضاً للألماني ليبسيوس؛ فقد أمضى ذلك القسيس شهراً واحداً فقط في اسطنبول ولم يسافر قط إلى داخل الأناضول. وقد اعتمد على ما حصل عليه من مورغنثاو ومن خلاله من المستشارين الأرمن.

فمن كان الدكتور جوهانس ليبسيوس؟ يمكن للمرء أن يشير إلى إف بي فيبر، الذي يقول ببساطة إنه "لم يكن موضوعياً"(٩٣). فبعد اختيار استراتيجية لتعزيز التأثير الألماني على الأرمن في القوقاز، بحث بعض الألمان عن طرق ووسائل، خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، ليكونوا مقبولين في الدوائر الأرمنية. وقد كانوا يخططون لـ"لكتاب أبيض": لا للتأثير على الأرمن فحسب، بل للتأثير على الرأي العام للحلفاء أيضاً. وكانت مصادر معلومات ليبسيوس هم الأرمن في اسطنبول والسفير الأمريكي، ومن المؤكد أن الأخير كان معيناً لا ينضب لعمل ليبسيوس. وقد أنكر الدبلوماسي الأمريكي، الذي تلقى تفويض واشنطن لتمرير مواد لليبسيوس، علاقته بالقسيس الألماني في الثالث من أغسطس ١٩١٥م، وفي عدة مرات لاحقة.

كما كان مورغنثاو مؤثراً في تشكيل رأي عام مساند للأرمن ومناهض للأتراك في الولايات المتحدة. وقد حقق هذه الأهداف في بادئ الأمر من خلال دوره كمزود للمعلومات لبرايس وتوينبي وليبسيوس، ثم بعد ذلك كمؤلف لكتاب وقعه بنفسه. فبعد عودته إلى الولايات المتحدة في أوائل ١٩١٦م، عبر عن رغبته، في رسالة

(93) Frank G. Weber, **Eagles on the Crescent: Germany, Austria and the Diplomacy of the Turkish Alliance, 1914-1918**, Ithaca, Cornell University Press, 1970. pp. 150-152, 187.

(بتاريخ السادس والعشرين من نوفمبر ١٩١٧م) إلى الرئيس ويلسون، في تأليف كتاب دعائي مناهض للألمان والأتراك "من أجل تحقيق النصر لسياسة الحكومة في الحرب". وقد حصل على مباركة الرئيس، وبدأ مفاوضات جدية مع دور النشر، حيث فرغ من الكتاب خلال عام وتم نشره مسلسلاً بعنوان "The World's Work" (حيث بيعت منه ١٢٠,٠٠٠ نسخة). وبعد ذلك نُشر في أكبر الصحف (مجموع النسخ التي وزعت جميعاً: ٢,٦٣٠,٢٥٦)، وأخيراً نشر في شكل كتاب من قبل دبلداي وبيج وشركاه (٢٢,٢٣٤ نسخة). وعندما تلقى مورغنثاو عرضاً من هوليوود للحصول على حق تحويل الكتاب إلى فيلم رفض الرئيس ويلسون السماح له بذلك، وفي الرابع عشر من يونيو ١٩١٨م، كتب أنه "تجاوز الأمر كثيراً".

ويتوجب على العلماء أن يحددوا مصداقية ذلك الكتاب كمصدر تاريخي؛ إذ لا يزال مصدراً أساسياً في تشكيل الرأي العام العالمي حول القضية الأرمنية. وبعد مرور ثلاثة أرباع القرن على نشره، لا يزال ذلك الكتاب يُطبع، كما يُقتبس منه كثيراً في الخطب والكتابات، ويُستعمل مرجعاً من قبل السياسيين، وربما أثر ذلك الكتاب في كثير من الشباب الأرمن الذين اغتالوا دبلوماسيين أتراكاً ومارة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين وخلال التسعينيات من القرن نفسه.

ويتساءل هيث إتش لاوري، وهو مختص أمريكي بالشؤون التركية، عن مصداقية كتاب مورغنثاو كمصدر وُضِعَ ليفسر أحداث سنة ١٩١٥م(٩٤)، وتقدم الوثائق التي

(94) Heath H. Lowry, **The Story Behind Ambassador Morgenthau's Story**, Istanbul, Isis Press, 1990. Also available in French (**Les Dessous des mémoires de l'Ambassadeur Morgenthau**) and German (**Die Hintergrundsgeschichte zu Botschafter Morgenthaus Memoiren**).

لقد استغل الدكتور لاوري مجموعة الأوراق العامة، المؤلفة من ٣٠,٠٠٠ مادة وضعت على شكل ٤١ لفافة ميكروفيلم، تخص مورغنثاو، ومحفوظة في قسم المخطوطات في مكتبة الكونجرس. كما درس أوراق مورغنثاو في مكتبة روزفلت الرئاسية في نيويورك. إضافة إلى ذلك، حلل الأوراق الشخصية للمرحوم بيرتون جيه هندريك الذي "سكن كالشبح" كتاب مورغنثاو. كما تعقب أبناء وأولاد عمومة وغيرهم من الأقارب للتحقق من المعلومات. لكنه اعتمد على المادة الأولية، مثل "مفكرة" مورغنثاو، و"رسائل" عائلته، كما اطلع على برقياته وتقاريره المكتوبة. انظر مراجعتي للكتاب: Türkkaya Ataöv, "Morgenthau's Story," **Turkish Daily News**, 2 and 3 October 1990.

قام بتحليلها قصة مختلفة، تُعَدُّ أكثر موثوقية من الدعاية التي كتبت في أثناء الحرب. ويُعَدُّ بحث لاوري مثالاً جيداً على البحث العلمي والرغبة في معرفة الحقيقة. وفي عالم الدراسة الأكاديمية، يجب أن تتم تنحية دعاية مورغنثاو بعدما قام به لاوري من عمل عبقري.

يقدم لاوري أدلة دامغة مباشرة من المصادر الأولية تتعلق بمن ألَّفَ كتاب مورغنثاو وكيف تمت كتابته. فبين مجموعة أوراق مورغنثاو هنالك مخطوطة تسمى بـ"المفكرة"، التي يبدو أنها كُتبت بيد هاغوب إس أندونيان، وهو أرمني تركي. كما كتب أندونيان الرسائل الأسبوعية المطولة التي كان مورغنثاو يوجهها إلى أفراد عائلته ويوقعها بنفسه. ومن الواضح أن هذه المساعدة أراحت السفير من "مسؤولية ارتكاب أية أخطاء" (بحسب ما قال مورغنثاو نفسه)؛ إلا أن هذه الكتابات شكلت الأساس لكتب مستقبلية، ومع أنها كانت ـ حينئذ ـ مجرد خواطر وأحاسيس؛ إلا أنها عُدَّت، فيما بعد، مصادرَ تاريخيةً موثوقةً.

وقد أصبح هاغوب أندونيان، الذي كان سابقاً أحد طلاب كلية روبرت (الأمريكية)، السكرتيرَ الشخصيَّ لمورغنثاو، وهو يحمل نفس اسم عائلة آرام أندونيان، الذي نشر (١٩٢٠م) ما يُسَمَّى بـ"الوثائق الرسمية" التي أثبت العلماء بعد سنوات لاحقة أنها مزورة. وقد غادر هاغوب أندونيان تركيا مع السفير لمساعدته في الكتاب، وكتب مورغنثاو قائلاً إنه "لا يمكن الاستغناء عن خدماته". وكان هنالك أرمني آخر مهم، هو أرشاغ كيه شامافونيان، الذي كان مترجماً ومستشاراً. ولأن مورغنثاو لم يكن يعرف أياً من اللغات السائدة في اسطنبول؛ فقد رافق أرشاغ السفير تقريباً في كل زيارة رسمية، وأيضاً في الاجتماعات مع رجال الأعمال والمبعوثين الأمريكيين، وقد ساعد السفير في كتابة برقياته، كما تم نقله إلى واشنطن دي سي حيث بقي "مستشاراً خاصاً" على ملاك وزارة الخارجية الأمريكية.

وكان هنالك مشترك آخر هو وزير الخارجية الأمريكي روبرت لانسينغ الذي قرأ كل صفحة من المخطوطة وعلق عليها قبل نشرها على دفعات أو في شكل كتاب. وقد أبدى ملاحظاته مقترحاً إجراء تغييرات أو حذف. وقد طلب لانسينغ من مورغنثاو في رسالة بتاريخ الثاني من أكتوبر ١٩١٩م ألا يَذْكُرَ اسمَهُ في هذا الكتاب.

وقد كُتبت مخطوطة الكتاب على يد الخبير الصحفي بيرتون جيه هندريك الحائز على جائزة بوليتزر، حيث تشكل أصل الكتاب في ذهنه(٩٥)، وكما تثبت رسالة أخرى (بتاريخ الخامس من يوليو ١٩١٨م)، فإن هندريك ضمن حصوله على ٤٠٪ من الأرباح، وذلك طوال فترة نشر الكتاب.

وقد أصدرت "اللجنة" المؤلفة من الأرْمَنِيَّيْن، ووزير الخارجية لانسينغ والصحفي هندريك، بشكل جماعي كتاباً تضمن "تصريحات" قادة أتراك، مثل طلعت وأنور، حيث وُضعت بين أقواس كمقتبسات. وقد بدت هذه المقتبسات وكأن الاثنين يريدان إدانة نفسيهما، وهو بالتأكيد ما يناسب أذواق أندونيان، وشامافونيان، ولانسينغ وهندريك، لكن ليس لذلك أية قيمة كسجلات موثوقة؛ فقد صور هندريك القادة الأتراك كأنهم شخصيات غير إنسانية تماماً. وقد كانت تلك التصريحات المزعومة بلا أساس حتى في "مفكرة" و"رسائل" مورغنثاو. وبعيداً عن الكذب المطلق، فإن "المؤلفين" أخذوا إشاعات ووضعوها على لسان قادة أتراك.

ومن ثم، كانت هنالك تناقضات كثيرة؛ إلا أن المؤلفين، الموحدين في دعايتهم المناهضة للأتراك وفي "الانتصار لسياسات الحرب"، حاولوا تصوير القادة العثمانيين كمجرمين يتفاخرون بجرائمهم علناً؛ فقد أخذوا إشاعات، من طريق المترجم الأرمني ونسبوها إلى أصحاب القرار الأتراك، وكانوا غير مقيدين في إجراء تغييرات وإضافات وحذف واقتباسات؛ والمثال على ذلك مشاركة لانسينغ بكتابته بقلم الرصاص: "... مع التهذيب الشرقي المعتاد غير الصادق"(٩٦).

وقد تعرض العامة في الغرب لنفس الدعاية من خلال استخدام الروايات والأفلام. فعلى سبيل المثال، تخيل فرانز ويرفيل موضوعاً وكتبه في الفترة ما بين ١٩٣٢-١٩٣٣م ليكون بعنوان "أربعون يوماً في موسى داغ The Forty Days in Musa Dagh" وذلك بالترجمة الإنجليزية(٩٧). وتشير رواية ويرفيل الشهيرة، التي تركز

---

(٩٥) رسالة هندريك إلى مورغنثاو، السابع من أبريل ١٩١٦م.

(96) Lowry, **op.cit**, p. 56.

(٩٧) النص الألماني الأصلي هو: **Die vierzig Tage des Musa Dagh.** النسخة الإنجليزية: New York, Carroll and Graf Publishers, 1983.

على الشخصية الخيالية غابرييل باغراديان، إلى شخصيات حقيقية عدة مرات مثل أنور وكمال وطلعت باشا. كما يؤدي ليبسيوس دوراً رئيساً حيث يصفه الروائي بـ"الملاك الحارس الذي أرسله الرب لحماية الشعب الأرمني"(٩٨)، كما يصطنع محادثة خيالية بين القسيس الألماني ووزير الحرب التركي؛ حيث يضع في أثنائها الكلمات المخزية التالية على لسان الوزير: "لا يمكن أن يكون هنالك سلام بين البشر وجراثيم الأوبئة"، إذ يُفترض أنه يعني بالبشر: الأتراك وبالجراثيم: الأرمن. فهذه هي الصورة المختلقة لقائد تركي يفرضها الكاتب على القارئ بقصته الخيالية. وبحسب ويرفيل، فإن "أصابع طلعت السمينة... هي التي صاغت أمر (الإبادة الجماعية) الذي أُرسل إلى الحكام كافة". ولا توجد هنالك أية وثيقة أصلية تحمل توقيع وزير الداخلية طلعت بيه أو أية شخصية عثمانية في هذا الاتجاه. ومن ناحية تصف الرواية شخصيات حقيقية وتنسب إليها نوازعَ عقلية وخطابية مختارة، بينما من ناحية أخرى تخلق هويات تدور التساؤلات بشأنها. فهل يمكن للألماني قائد أركان الجيش التركي الرابع، الذي يسميه ويرفيل: فون فرانكنشتاين أن يكون الجنرال إريك فولكينشتاين؟ فمن المعروف أن الأول هو شخصية الخيال العلمي التي ابتدعها إم دبليو شيلي؛ بينما الأخير هو القائد الألماني العام للقوات العثمانية في فلسطين. ولا تعدُّ رواية ويرفيل وثيقة، ولا كتاباً علمياً؛ إلا أن الترجمة الإنجليزية حازت سمعة عالمية وساعدت الأجيال اللاحقة على تشكيل تصورات مسبقة.

وبالمثل، فإن فيلم "أرارات" الأخير للكندي الأرمني المولود في القاهرة المخرج السينمائي وكاتب السيناريو أتوم إيغويان، الذي حاز كثيراً من الاهتمام، وفاز بجوائز في المهرجانات وكان متوقعاً فيما بعد أن يترشح للأوسكار، قد أُعدَّ بذكاء أكبر مما أُعدَّ به "ميدنايت إكسبرس". كما أن له رسالة سياسية واضحة(٩٩)، ويحصل الفيلم على اسمه من جبل مهيب، يوجد مع ما يُظَنُّ أنه سفينة نوح في الأراضي التركية

(٩٨) المصدر السابق نفسه (بالإنجليزية) ص ١٤١.

(٩٩) دراسة في دور "الفن" في الدعاية في السياسة الدولية: Sedat Laçiner and Senol Kantarci, **Art and Armenian Propaganda: Ararat as a Case Study**, Ankara, ASAM Institute for Armenian Research, 2002.

خلال الألف سنة الماضية، وهو تاريخ يعادل تاريخ الولايات المتحدة خمس مرات. والآن، يُطلق الاسم على شركات ومدارس وأعمال تجارية في عدد من الدول الغربية، وميزانية الفيلم الأكبر من ميزانيات العديد من أفضل أفلام هوليوود مبيعاً تشير إلى وجود ممولين أثرياء وراءه.

وتحكي قصة الفيلم عن مخرج سينمائي أرمني (يلعب الدور المغني الفرنسي الأرمني والممثل تشارلز أزنافور) يعتزم إخراج فيلم حول "الإبادة الجماعية للأرمن". والشخصية "التركية" الوحيدة ـ التي هي في الواقع شخصية "علي"، وهي شخصية نصف تركية ـ "تحظى بهذا الشرف" وتُصَوَّرُ على أنها شخصية شاذة جنسياً، وهي بالطبع تمثل "الشخص السيئ"؛ حيث تقوم بدور صفوت بيك حاكم "وان" "المتوحش". وتلعب شخصيات الفيلم كافة أدوارها لتبرر الاتهامات الأرمنية، التي تفترض أنها استنتاجات حقيقية ومثبتة وعلمية. وهذا الفيلم الذي حاز جوائز وَتَوَقَّعَ المزيد، يصور الأتراك كأنهم ليسوا بشراً، بل كائنات قادرة فقط على القيام بأعمال وحشية لم يسمع بها أحد من قبل: فحتى لجوء الأرمن إلى السلاح، بحسب الفيلم، هو رد فعل بريء لأحد الأقارب على مقتل ابنه الصغير تحت وطأة التعذيب[(١٠٠)]. ويتساءل أزنافور الذي يلعب دور إدوارد في الفيلم عن سبب كراهية الأتراك للأرمن إلى هذا الحد! وأتدخل هنا للقول إن العكس هو الصحيح[(١٠١)]، ففيلم "أرارات" هو نفسه أحد منتجات الكراهية.

(١٠٠) يدعي مخرج الفيلم والممثلون أنهم لم يقرؤوا السجلات الأرمنية، في شكل كتب أو مجموعات من المقالات، التي تصف مشاركتهم في حروب دموية ونزاعات مسلحة.

(١٠١) قرر هذا الكاتب عندما كان صغيراً جداً أن يترجم وينشر قصة الأمريكي الأرمني سارويان التي تحمل عنوان "أنا اسمي آرام". ولم تعترض عائلتي أو أي من معارفي أو أي شخص له علاقة بالناشر على هذا الاختيار. فهل أدرك ازنافور بنفسه أو من خلال دور إدوارد، يوماً من الأيام، أو حاول أو حتى تخيل أن يترجم إلى لغته الأم عملاً أدبياً تركياً لتعريف شعبه بالأتراك؟ لقد اخترت سارويان لأنه أحب صداقة بيئات صغيرة وأقل تعقيداً. وكان "آرام" اسم ابنه. والكتاب مجموعة سيرة ذاتية لقصص تدور حول حياة صبي أمريكي أرمني في فريزنو في كاليفورنيا. وقد تمت طباعة النسخة التركية من الكتاب ثلاث مرات:

Aram Derler Adima, Istanbul, Varlik, 1953.

وقد زار سارويان تركيا، حيث حظي باستقبال حار. وقيل لي إنه لم يشترك في مظاهرات أبريل بعد عودته إلى كاليفورنيا.

وفي الحوليات التاريخية يُطلق الأتراك على الأرمن "الأمة الصديقة"؛ فقد وثق بهم الأتراك، إلى حد تركهم عائلاتهم وممتلكاتهم في رعاية جيرانهم الأرمن عندما دعوا للالتحاق بالجيش، أو للانتقال من جبهة إلى أخرى في حروب متتالية. وقد كان الجار الأرمني مخلصاً لصداقته مع التركي، وكانت المجموعتان تتشكلان من رجال ونساء مخلصين عاشوا قروناً في سلام؛ إلى أن جاء الذهب والسلاح الروسي من الشرق والبعثات من الغرب. ويمكن للأحداث التي شهدتها العقود القليلة الماضية، بما فيها سيادة إرهاب الجماعات الأرمنية، أن تكشف فقط عن حقد الجماعات المتطرفة.

وللدعاية الأرمنية عبر صناعة الأفلام تاريخها الخاص؛ فهنالك مؤسسات ومنظمات وجمعيات وشركات وكنائس وحكومات محلية وجامعات وأفراد، يشاركون جميعاً في تسجيل وتوزيع الأفلام، حتى إن بعضها يحصل على تخفيضات ضريبية. ويدعم رجال الأعمال الأرمن الأثرياء، بشكل خاص، الأفلام المناهضة للأتراك، وهو دافع آخر لهذه الأنشطة. وتتركز أكبر المشاركات حول فترات الانتخابات. وتهتم هذه الدعاية بإنشاء الأرشيفات وتنظيم مهرجانات الأفلام وتوزيع أشرطة الفيديو ونشر المجلات.

وقد تم إنتاج رواية ويرفيل في شكل فيلم مدته ١٢٠ دقيقة، حيث تم فيه تصوير الجنود الأتراك كمحبين للتعذيب. ويصور فيلم "مهمة برلين" الشخص الذي اغتال طلعت باشا بطلاً، وليس إرهابياً. وحتى ما يعرف "بالأفلام الوثائقية" فإنه يعطي انطباعاً مستمراً للمشاهدين بقيام الأتراك بالحرق والتدمير والقتل والاغتصاب، ويضع بعضها مثل "أفيتيك" - الذي مدته ٨٤ دقيقة - في السلة نفسها كلاً من أحداث ١٩١٥م، والفاشية الهتلرية وحتى السيادة الآذرية على إقليم ناغورنو-قره باخ. وبالطبع يقدم الفيلم تفسيراً واحداً لتمرد "وان" وتداعياته، ويفتعل مقارنة خيالية بين وضع اليهود والأرمن، وينسى وجود ثلاثة قرارات للأمم المتحدة تطالب القوات الأجنبية (أي الأرمن) بإخلاء الأراضي (الآذرية) المحتلة. فالأرمن هم دائماً "الضحايا"، والأتراك هم "الجلادون"، حتى لو كان ذلك بشكل غير مباشر مثلما في ألمانيا النازية. أما المتطرف الأرمني الذي اغتال دبلوماسياً تركياً وأُجْرِيَ معه لقاء في "أرارات بيكون"، فما هي إلا حكاية أخرى تمثل "بطلاً" و"ضحية". ويلقي فيلم جيه أم هاكوبيان بعنوان "Legacy" اللوم على الأتراك لحرقهم إزمير سنة ١٩٢٢م؛

إلا إنه توجد أدلة موثقة على أن هذه المدينة على ساحل بحر إيجة قد أُحرقت على يد الأرمن، وذلك حسبما شهد به ممثل إغاثة الشرق الأدنى (مارك أو برينتيس)[١٠٢]، وقائد قسم الإطفاء النمساوي (بول غريسكوفيتش)، وليس على أيدي الأتراك المنتصرين الذين لا يوجد لديهم ما يمكن أن يكسبوه، لكن الكثير مما يمكن أن يخسروه بهذه النار المستعرة.

في الأمثلة التي ذكرناها أعلاه، أُسيء استخدام إمكانات الفن المرئي، بفضل مال الأرمن ومخرجيهم وفنانيهم وموزعيهم، وذلك كأدوات لتحقيق أهداف سياسية معينة؛ إذ "يتعلم" كثير من الناس، ليس من الدراسات المحايدة وغير الحزبية، بل من مثل هذه الأعمال الخيالية. فحتى فيلم هوليوود "Amadeus" المبني على شخصية الموسيقار النمساوي الشهير موزارت (١٧٥٦-١٧٩١م)، والذي يُعَدُّ تحفة درامية حقيقية، يصور أنتونيو ساليري (١٧٥٠-١٨٢٥م) قاصراً طموحاً شريراً في عالم الموسيقى؛ ولكن الأخير، عدا عن كونه شخصية سوداء اللون، كان عبقرياً مبدعاً في هذا المجال من الفن. وربما يكون هو وموزارت متنافسين بشكل ما، غير أنه لا يوجد أساس لقصة تسميم ساليري لموزارت، ومن غير المحتمل جداً أنه ادَّعَى قيامه بذلك بينما الآخر في قبره أو قبل ذلك. فلقد كان ساليري موسيقاراً إيطالياً، أقام رواية غنائية (أوبرا) في البلاط الملكي، وانتقل إلى فيينا، وكان كثير من الموسيقيين المرموقين طلاباً لديه، بمن فيهم لودفيغ فان بتهوفن (١٧٧٠-١٨٢٧م)، وفرانز بيه شوبيرت (١٧٩٧-١٨٢٨م) وفرانز ليستز (١٨١١-١٨٨٦م)، كما ألف هو نفسه أربعين رواية غنائية وموسيقية أخرى[١٠٣]، وسيحاول عدد قليل جداً من الناس المهتمين

---

(١٠٢) انظر أصل تقريره المطبوع بين "Admiral Bristol Papers" في مكتبة الكونجرس الأمريكي في واشنطن دي سي. وقد بنيت مقالة لي على هذا التقرير: Türkkaya Ataöv, "Izmir Yangini," Cumhuriyet, 13 Eylul 1991.

(١٠٣) خلال السنوات (١٨١٠-١٨١٦م) رعى ساليري موهبة شوبيرت، الذي أنتج، حتى في سن مبكرة، روائع موسيقية أكثر من أي موسيقار في التاريخ. ومع أن ليستز كان قاصراً في أثناء الدراسة مع ساليري، إلا أنه ظهر في فينا سنة ١٨٢٢م، وبيتهوفن الذي لم يكن يُنافَس كأشهر موسيقار عالمي ساد بتميز الحقبتين الكلاسيكية والرومانطيقية، كان معروفاً جداً بوصفه تلميذاً لدى ساليري.

دراسة ما يكفي من تاريخ الموسيقى لوضع كل من موزارت وساليري في محليهما؛ وبالمثل، فإن عدداً قليلاً جداً لديهم الرغبة والفرصة والوقت لفصل الحقائق عن الخيال في حالة العلاقات الأرمنية-التركية.

٧- تزوير وتحريف

يؤكد كثير من الكتاب الأرمن أن القضية، ولاسيما أحداث عام ١٩١٥م، ساطعة الوضوح بشكل "يتجاوز أي شك ممكن". ولكن ليس الوضع كذلك؛ فالمسألة ليست فقط أحادية الجانب، تتخللها مبالغات وتشويهات؛ فهي مغلفة أيضاً في أكاذيب كثيرة ووثائق مزيفة وخداع ودجل واضح، وما تعرف بـ"وثائق" آرام أندونيان، التي ينسبها إلى وزير الداخلية العثماني وعدد من الشخصيات الرسمية الأخرى، ما هي إلا وثائق مزورة. فالصورة التي يتكرر استخدامها في القارات كافة، والتي يقال إنها صورة تمثل كومة من الجماجم تعود إلى أرمن قتلوا سنة ١٩١٥م، هي في الواقع لوحة روسية شهيرة رسمت سنة ١٨٧١-١٨٧٢م، كما أن تصريحين يفترض أنهما صدرا عن مصطفى كمال "أتاتورك"، مؤسس الجمهورية التركية، هما ابتداعان غير معقولين؛ فقد تم ـ وبلا خجل ـ تزوير صورة رجل دولة بارز نقل مجتمعاً شرقياً في الأساس إلى دولة علمانية حديثة، وذلك لنفس الهدف، وتحت سقف مركز أكاديمي هو جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة. وما يعرف بـ "تصريح هتلر"، الذي يشار إليه عادة على أنه موجود في مجلدات محكمة نورمبرغ المنشورة. لا يظهر في أي جزء من الخطابين اللذين تمت المصادقة عليهما رسمياً كنصوص أصلية. وعلى أية حال، فإن محاولة ربط أحداث ١٩١٥م بالمحرقة اليهودية يُعَدُّ أمراً مثيراً للجدل وسخيفاً. والأكثر من ذلك، هو صدور التزوير التالي أدناه.

فقد أصدر آرام أندونيان الكاتب الأرمني كتاباً، يقال إنه ينطوي على ما يقرب من خمسين وثيقة مما يعرف بـ"الوثائق الرسمية" كدليل على أن الحكومة العثمانية أمرت بالجرائم. وقد نُشر بشكل منفصل باللغات الإنجليزية والفرنسية والأرمنية سنة ١٩٢٠م، عندما كان الأتراك يخوضون صراع وجود. وقد قام المؤرخون الأتراك بعد ذلك بفترة طويلة جداً بالتحقق من الكتاب بلغتين غربيتين، وذكروا ما توصلوا إليه

في كتاب علمي بأن الوثائق كانت مزورة[١٠٤]، وقد شكل كتاب أندونيان طوال عقود أساساً لكثير من نقاشات الأرمن ومن شابههم في الفكر من الكتاب الأجانب. لكن يجب ألا يستمر تقويم "برقيات طلعت باشا" بنفس الاتجاه الذي كان في السابق، دون الاطلاع على الأدلة القوية التي قدمها العمل التركي المهم الواقع في ٣٤٤ صفحة.

ويجهد الكتاب التركي في معالجة كل "وثيقة" من الكتاب الأرمني، الذي يمكن اعتباره جهداً جماعياً وليس نتاج شخص واحد. ويقول أندونيان إن "لجنة الخبراء" أيضاً فحصت الوثائق دون تفسير عدم وجود ممثلين بريطانيين و/أو فرنسيين. ويجب على المرء أن يتساءل، بنفس الطريقة، عن عدم استفادة القوى المنتصرة في الحرب من هذه الوثائق، إذا كانت موثوقة فعلاً، في ظل بحث البريطانيين بشكل خاص في الأرشيفات العثمانية للعثور ولو على وثيقة واحدة أصلية يمكن أن تُحَمِّلَ القادة الأتراك المسؤولية. والحقيقة هي أن "وثائق" أندونيان مملوءة بمختلف الأخطاء التي تتعلق بالحقائق، والحذف والتناقضات التي فضحتها[١٠٥]، ويأتي هذا الخطأ من افتقار أندونيان إلى المعرفة الكافية التي تتعلق بالفرق بين التاريخين القيصري والميلادي. فللتغيير من الأول إلى الثاني، يجب على المرء إضافة رقم ٥٨٤ إلى السنوات و ١٣ إلى الأيام. لكن حتى ١٩٠٠م، تمت إضافة ١٢ يوماً فقط، وقد ابتدأت السنة القيصرية في الأول من مارس، والرقم الصحيح لشهري يناير وفبراير يمكن التوصل إليه بإضافة ٥٨٤ + ١. إضافة إلى ذلك، فإن قانون فبراير ١٩١٧م

(١٠٤) باللغة الإنجليزية، انظر:

Sinasi Orel and Süreyya Yuca, **The Talat Pasha Telegrams: Historical Fact or Armenian Fiction?** Oxford, K. Rustem and Brother, 1986. Also: Türkkaya Ataöv, **The Andonian "Documents" Attributed to Talat Pasha are Forgeries!...** Ankara, A. U. Siyasal Bilgiler Fakültesi, 1984;---------, **Documents on the Armenian Question: Forged and Authentic**, Ankara, Barok Ofset, 1985.

(١٠٥) كان الاتصال الرسمي المكتوب خلال الحرب يتم بشكل طبيعي من خلال تغيير دوري للشيفرة. ويُعرف أندونيان ودائرته بذلك، حيث إنهم على ما يبدو ابتدعوا شيفرتهم الخاصة، التي لا تتطابق مع تلك التي تستخدمها الدولة العثمانية في ذلك الوقت. ولا تزال حلول تلك الشيفرة موجودة في الأرشيفات العثمانية حتى الآن.

حذف ١٢ يوماً كانت شكلت الفرق. ونتيجة عدم معرفة تعقيدات هذا النظام، ارتكب أندونيان أخطاء خطيرة بوضعه تواريخ "مناسبة" على "وثائقه". ومن ثم فقد جعل أندونيان القيادة العثمانية تأمر بترحيل السكان الأرمن بعد تسعة أشهر من تاريخ بدئها الفعلي بذلك(١٠٦)، كما يبدو أن المسؤولين، حيث توقيعاتهم مزورة، وقعوا الأوامر عندما لم يكن قد تم تعيينهم بعد في تلك الوظائف(١٠٧)، ولا تتوافق الصيغ الإنجليزية والفرنسية أحياناً مع بعضها بعضاً، كما أن أصول ما يعرف بـ"الوثائق" لا يمكن العثور عليها في أي مكان، وقد ادعى أندونيان فيما بعد أنها "فُقِدَتْ". إن تلفيق وثائق مزورة، مثل "برقية زينوفييف" سيئة الذكر، أو ما يعرف بـ "مذكرات هتلر"، ليس أمراً غريباً في التاريخ؛ لكن في العادة يبتعد النقاد الجادون عنها.

وقد استعملت المنشورات المدعومة أرمنياً بكثرة صورةَ الجماجم على غلاف كتاب ألماني، وفي تقرير فارسي، وفي مقالة بلغارية أو أمريكية لاتينية، أو على ظهر بطاقة بريدية تُرسل إلى فرنسا، حيث تقول إنها بقايا "البربرية التركية سنة ١٩١٥م". وفي بعض الأحيان، كانت ترافقها صور وزير الداخلية العثماني "المسؤول" صراحة عن هؤلاء الضحايا. لكن هذه الصورة هي لوحة زيتية (١٢٧×١٩٧سم) في مجموعة صالة عرض تريتيكوف في موسكو، وهي معروفة لدى المثقفين الروس كافة كتحفة فنية لفاسيلي فيريشاغين (١٨٤٢-١٩٠٤م)، وقد رأيتها بأم عيني معلقة على جدار المتحف، كما يقدم المسؤول في الصالة معلومات حول كل ما يتعلق باللوحة والفنان. فهذا الكذب شائن جداً؛ إذ تجرم قوانين محلية لكثير من الدول حالات التزوير المشابهة.

كما تستعمل نفس آلة الدعاية باستمرار ما يُعرف بـ"التصريح" و"المقابلة" التي لا

(١٠٦) على سبيل المثال، فإن "وثيقة" أندونيان الملفقة، التي تحمل تاريخ ١٩١٦م لسنة الترحيل، يجب أن تكون بتاريخ ١٩١٥م. ومصدر هذا الخطأ هو أن المؤلف الأرمني لا يعرف بما يكفي تعقيدات تحويل التاريخ من نظام إلى آخر.

(١٠٧) على سبيل المثال، فإن مصطفى عبد الخالق الذي لم يكن قد أصبح بعد حاكماً لحلب (حيث عين في ذلك المنصب في العاشر من أكتوبر ١٩١٥م)، لم يكن بإمكانه توقيع أية وثيقة في تلك المدينة السورية قبل ذلك التاريخ. كما أن بكر سامي، كان الحاكم في ذلك التاريخ، والأنكى من ذلك هو أن "التوقيع" مزور.

وجود لها، وهما منسوبان إلى مصطفى كمال "أتاتورك"، حيث يُستعملان بدهاء للتأثير في الرأي العام العالمي والتركي. إذ إن كلا "الإقرارين" "يعترف" بوضوح "بالذنب التركي بارتكاب الإبادة الجماعية"، وفي الوقت الذي تشكل فيه استراتيجية إبراز اعتراف كاذب باتهام الإدارة العثمانية على لسان مؤسس تركيا الدافع الرئيس في العادة، فإن هذه الدوائر أيضاً تنشر ما يفيد أنه هو نفسه كان مسؤولاً عن المأساة، في الوقت الذي تعزز فيه الأدلة الأرمنية الكافية حقيقة أن الزعيم التركي لم يصدر تصريحاً كهذا، فلا يوجد ما يثبت أنه أجرى مقابلة مع أي كان بهذه الطريقة المؤكدة. ومن ناحية أخرى، هنالك كمية كافية من الوثائق المعتمدة بتوقيعه تكشف عن تقويمه للأحداث وتواجه الاتهامات الكاذبة.

وقد كان من المفترض أن يمثل مصطفى كمال "أتاتورك" أمام محكمة في اسطنبول، ويبدو أن ذلك في البداية كان في السابع والعشرين من يناير ١٩٢٠م، وفي المنشورات الأرمنية ورد أن ذلك كان قبل سنة، للاعتراف بالذنب واتهام القيادة العثمانية بناء عليه. ولم يكن الزعيم التركي في العاصمة العثمانية سنة ١٩٢٠م، بل ترك المدينة في أواسط عام ١٩١٩م كقائد لنضال أمته للتحرر، وعاد بعد ذلك بثماني سنوات؛ كما أن المحكمة حيث كان من المفترض أن يمثل قد أصدرت حكماً عليه بالإعدام، جاعلة وجوده هناك بأي شكل أمراً مستحيلاً. وعندما تواصلت الاقتباسات الملفقة، كتب جيمس أتش تاشجيان، محرر مجلة أرمنية تصدر ثلاث مرات شهرياً The Armenian Weekley في العشرين من مارس ١٩٨٢م قائلاً: إن مصطفي كمال "لم يمثل أمام تلك المحكمة، كما لم يقدم مثل هذا التصريح". كما نشر مقالة مطولة في دوريته الخاصة The Armenian Review، في خريف ١٩٨٢م، مؤكداً في العنوان أن هذا الادعاء "خطأ"(١٠٨). ولا يزال "الخطأ" نفسه يُستعمل لصالح الملفقين، وقد ورد أن تاشجيان فقد وظيفته بعد هذا الموقف النزيه في هاتين المقالتين.

---

(١٠٨) للاطلاع على تفاصيل هذا الموضوع: Türkkaya Ataöv, **A 'Statement' Wrongly Attributed to Mustafa Kemal Atatürk**, Ankara, S.B.F. ve Basin-Yayin Yüksek Okulu Basimevi, 1984.

ولم يجر الزعيم التركي مقابلة "لصحفي أو فنان سويسري" يدعى إميلي هيلدر براندت(١٠٩)، ويحظى النص المزعوم الآن وإذ ذاك، بتوزيع واسع النطاق من قبل مجموعات من الأرمن ومؤيديهم. ومع أن تصريحات الزعيم التركي ومقابلاته كافة مسجلة في الأرشيفات التركية والمنشورات المناسبة؛ إلا أنه لا يوجد ما يشير أبداً إلى أنه كتب أو صَرَّحَ بالكلمات التي يفترض أن المواطن السويسري كتبها، والذي يدور الشك حول عمله الصحفي أو الفني، وفي الحقيقة يدور الشك حول وجوده أصلاً. ولا يوجد أي ذكر لهيلدر براندت في المصادر السويسرية، بما فيها السجلات السنوية، ومجلدات المواضيع، والصحف، والمكتبات أو في سجلات السفارة في بيرن وأنقرة.

والصحيح فعلاً هو أن الملصقات التي أُعِدَّتْ وطُبعت ووزعت بالبريد بمناسبة إلقاء خطابات عامة لثلاثة أمريكيين من أصل أرمني هم (الدكتور فاهران شيناسيان، وأرداشيز كاساخيان، والدكتور ليفون ماراشليان) في مور هول في جامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس) في الرابع عشر من أبريل ٢٠٠٥م الساعة ٣٠: ٥ قد صورت أتاتورك القائد الذي لا يوازيه أحد جالساً أمام بيته مع جثة يُفترض أنها لطفل أرمني وقد شُقَّتْ بطنه وظهرت عظام صدره، حيث كان ساكناً بلا حراك بالقرب من قدميه. إنها صورة شنيعة يصعب النظر إليها ويصيب تذكرها بالغثيان. لكن يجب وصفها على أنها مروعة أكثر عندما أقول إن المشهد كله خدعة تصويرية، هي الأحقر والأسوأ من نوعها، من أجل تشويه اسم شخصية عظيمة وشعبها. ويقول العنوان تحت الصورة "إن وجه الإنكار لا يكذب"(١١٠).

وقد عثرت على أصل هذه الصورة في أرشيف مديرية الصحافة والإعلام في أنقرة. فالنسخة الأصلية هي نفسها بكل تفاصيلها، سوى جسد الطفل بالطبع. فالصورة الأصلية تظهر أربعة جراء، ثلاثة منها سوداء وواحد أبيض، كما أن الحقيقة الأخرى التي تجاهلها ملفقو هذه الخدعة السخيفة هي توقيع إهداء

(109) Türkkaya Ataöv, **Another Falsification: 'Statement' (1926) Wrongly Attributed to M. Kemal Atatürk**, Ankara, Sistem Ofset, 1988.

(110) **Hürriyet**, Istanbul, 1 July 2005.

مصطفى كمال بالأحرف العربية على الزاوية اليسرى العلوية وتعني إلى "لطيفة"، زوجته في ذلك الحين. ويمكن قراءة هذه الكتابة بخط يده بسهولة. كما أن توقيعه المعروف والأصلي تحتها واضح جداً أيضاً.

هذه الأمثلة الثلاثة التي تتصل بالإساءة إلى اسم الزعيم التركي، توضح، عندما تؤخذ معاً، أن الملفقين الأرمن لا يقفون عند حد من أجل الدعاية الكاذبة. فبينما سعت المحاولتان الأوليان إلى إثبات أن أتاتورك قد اعترف بالإبادة الجماعية، فإن الثالثة هدفت إلى وضعه شريكاً فيها. ولا يمكن نسبة هذين الموقفين بشكل منطقي لنفس الشخص، بغض النظر عن هوية ذلك الشخص؛ فإحداهما فقط يمكن أن تكون صحيحة. وفي هذه الحالة، فإن كليهما خطأ: إذ إن الادعاءات الثلاثة معاً لا تستحق أية قيمة.

وبعد الإشارة إلى أتاتورك أعلاه بنوع من التفصيل، فربما يكون مناسباً أن نترك للمؤرخ توينبي وصف إنجازات الزعيم التركي الملهمة؛ فقد كتب قائلاً: "... كانت سياسة مصطفى كمال لا تهدف إلا إلى التحويل الكلي لتركيا إلى أسلوب الحياة الغربية؛ وفي العشرينيات من القرن العشرين، وضع في تركيا ما يمكن أن يوصف بالبرنامج الثوري، كما لم يتم تنفيذه في أية دولة بشكل مدروس ومنظم، خلال فترة قصيرة جداً من الزمن. لقد بدا الأمر في عالمنا الغربي وكأن النهضة والإصلاح وتطور العقلية العلمية العلمانية في نهاية القرن السابع عشر، والثورة الفرنسية والثورة الصناعية كلها قد وُضِعَتْ في فترة حياة واحدة وكانت إلزامية بفعل القانون"[111]. وقد كان رئيس الوزراء اليوناني، إليوثيريوس فينيزيلوس، الذي حاربه مصطفى كمال "أتاتورك" قبل ذلك ببضع سنوات، قد رشح نظيره التركي لجائزة نوبل للسلام. فهذا رجل دولة مدهش ومصلح في القرن الذي عاش فيه، وهو الذي اختارت جماعات الأرمن المتطرفة لأهدافها الخاصة أن تُعَرِّفَهُ، أحياناً كمُقِرٍّ بالذنب، وأحياناً أخرى كمُنَفِّذٍ للإبادة الجماعية، حسبما تتطلب ظروفهم.

وبنفس الأسلوب، فقد تولى منظمو الحملات أعلاه المرة تلو الأخرى إجراء

(111) Arnold J. Toynbee, **Civilization on Trial and the World and the West**, New York, Meridian Books, 1958, p. 252.

مقارنة غير معقولة وغير متوافقة بين المحرقة اليهودية وأحداث عام ١٩١٥م. فقد كانوا يتبعون هذا الأسلوب بشكل أساسي من خلال ما يعرف بـ"تصريحات هتلر"، التي غذتها مجموعات من الخطابات والأدوات لتلائم خططهم(١١٢). وهنالك إشارات متكررة في مختلف الصحف، والدوريات والكتب الأرمنية إلى ملاحظة هتلر الجدلية؛ إذ يُفترض أن الدكتاتور النازي قد قال ما يلي في الثاني والعشرين من أغسطس عام ١٩٣٩م: "لقد أصدرت أوامري لوحدات الموت لتقضي دون رحمة أو رأفة على الرجال والنساء والأطفال الذين ينتمون إلى الشعب الذي يتكلم البولندية. وبهذه الطريقة فقط يمكننا الحصول على الأراضي الحيوية التي نحتاج إليها، وبعد كل ذلك، من ذا الذي يتذكر إبادة الأرمن؟"

ويقول عدد من الكتاب والسياسيين بشكل قاطع إن هذه العبارات موجودة في وثائق محكمة نورمبرغ، وإن الوثائق التي صادق عليها مُدَّعُو نورمبرغ كمحاضر رسمية لحديث هتلر في الثاني والعشرين من أغسطس ١٩٣٩، قد أعطيت الأرقام USA-29 (أو فيما بعد PS-798) و USA-30 (أو فيما بعد PS-1014)(١١٣). ولم يقدم الادعاء وثيقة ثالثة، كانت في البداية تحمل الرقم USA-28 كدليل. ولكن لا تحتوي بعض النسخ على الجملة قيد النقاش. وهنالك ترجمات إنجليزية أخرى(١١٤)، حيث توجد في بعضها هذه الجملة الإضافية التي لا توجد في النصوص الألمانية المصادق عليها. وحتى لو أن هتلر صرح بهذه العبارة، فمن المؤكد أنه لم يكن خبيراً في العلاقات الأرمنية-التركية: فيمكن لآرائه عن الأتراك أن تكون بنفس درجة "مصداقية" آرائه عن الديمقراطية أو قناعاته عن اليهود. ولسنوات طوال، فإنه لم يشغل نفسه بالعلاقات الخارجية، ومن الإساءة للمرء أن يتوقع الحصول على أي شيء من بضع كلمات، يفترض أنها صدرت عن شخص كانت فرادته في التاريخ في

(112) Türkkaya Ataöv, **Hitler and the "Armenian Question"...**, Ankara, Sistem Ofset, 1984.

(١١٣) كما تظهر هذه الوثائق في **Nazi Conspiracy and Aggression**, Vol. III, pp. 581-596, pp. 665-666 and in **Documents on German Foreign Policy: 1918-1945**, Series D, Vol. VII, pp. 200-206.

(١١٤) مثل: **The New York Times and The London Times**, 24 November 1945, pp. 7 and 4 respectively.

أن يقود أمة عظيمة إلى الحرب والهزيمة والدمار. فكيف يمكن لجملة واحدة، حتى وإن قيلت، أن تلخص ظاهرة خلافية في القرن الماضي؟ وكيف يمكنها أن تربط بين قضيتين مختلفتين من حيث أصلهما وتراكمهما وظروفهما ونتائجهما؟ ويستعمل بعض رجال الكونجرس الأمريكي والأمريكيون الأرمن هذه الجملة المزعومة للربط بين آخر جزء من تاريخ الأرمن والمصير المأساوي ليهود أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية(١١٥).

إن وضع الأرمن في المجتمع العثماني واليهودية العالمية ظاهرتان مختلفتان(١١٦)، فمعاداة السامية، التي لها تاريخها الخاص بها، قد ارتقت إلى مقام السياسة الرسمية لألمانيا النازية؛ مما أدى إلى مقتل عدة ملايين من البشر، إضافة إلى حوالي ستة ملايين يهودي. فخلال قرون مضت، لم يتم فقط اعتبار كل المجتمع اليهودي "مجرماً"، بل كان يفترض أن اليهودية هي "عدو" للمسيحية. وقد مرت أوقات عندما اتُّهِمَ اليهود بالقتل وحُمِّلوا المسؤولية حتى عن وباء "الطاعون"؛ فالادعاءات الجديدة ربطت بين اليهود وأسوأ جوانب الرأسمالية الجديدة، كما حُمِّلَ اليهود مسؤولية التشدد اليساري. ولم تكن ألمانيا الدولة الوحيدة التي كانت معاداة السامية منتشرة فيها؛ فالتراكمات التاريخية منحت الاشتراكيين القوميين في ألمانيا فرصة استخدام كل اتهام وأداة قمع، وبلغت قمتها في قوانين نورمبرغ سنة ١٩٣٥م و"الحل النهائي". وقد أوجد الرايخ الثالث التابع لهتلر معاداة للسامية لم يشهدها التاريخ من قبل؛ إذ كانت عقائدية وعرقية ومتماسكة ورسمية وقضائية وشمولية وتوسعية بالكامل، وتم التخطيط للقيام بالقتل الجماعي والمنظم الذي تم تنفيذه رسمياً من قبل الحكومة أو الحزب الذي يمسك بزمام السلطة، وقد شملت مجالات الحياة المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية كافة، ولم تقتصر سلطتها على رعايا الرايخ الثالث، بل تم تطبيقها بالمثل على الغرباء ذوي

(115) Heath W. Lowry, "The U.S. Congress and Adolf Hitler on the Armenians," **Political Communication and Persuasion**, New York, Vol. 3/2 (1985), pp. 111-140.

(116) Türkkaya Ataöv, "The Jewish Holocaust and the Armenians," **The Armenians in the Late Ottoman Period, op. cit.**, pp. 315-344.

الأصول "اليهودية"، من الذين سكنوا الأراضي التي يحتلها الألمان. وكان يهود ألمانيا والأراضي التي تحتلها ألمانيا في أوروبا مجموعة عرقية/ دينية مسالمة لم تطالب لا بأرض ولا بسلطة، بل إنها أسهمت في العلم والفن والأدب في (البلد) البلاد التي عاشت فيها، حيث حصدت ثلث جوائز نوبل تقريباً. وقد عاش عدد قليل منهم كالهياكل العظمية ليرى التحرير؛ إذ يمكن وصف معاداة النازية للسامية بأنها إبادة جماعية بحق.

وعلى النقيض من معاداة السامية الواضحة والجلية التي وصفناها سابقاً، فإن التعايش بين اليهود والمسلمين داخل الإمبراطورية العثمانية وفي الجمهورية التركية له تاريخ يزيد على خمسمائة عام، وقد تم الاحتفال عالمياً سنة ١٩٩٢م بذكرى مرور خمسمائة عام (١٤٩٢-١٩٩٢م) على الهجرة الجماعية لليهود الفارين من المحاكم الأوروبية (محاكم التفتيش) إلى الأراضي العثمانية، كما وجد كثير من المفكرين الألمان، بمن فيهم يهود بارزون، وآلاف من الناس العاديين الفارين من الاضطهاد النازي ملاذاً لهم في تركيا[١١٧].

إن تجربة اليهود مع العالم، ولاسيما الأحداث التي واجهوها خلال الحكم النازي، تختلف كثيراً عن العلاقات التركية مع الأرمن على مر العصور. فالأتراك العثمانيون هم من اعترف قانوناً بالأرمن كجالية منفصلة بحكم ذاتي تحت قيادتها الخاصة سنة ١٤٦١م، ولمئات السنين، ساد السلام العلاقات بين الأتراك والأرمن. ولو كانت القومية التركية جزءا من الحركات السياسية بعد ثورة الشباب الأتراك سنة ١٩٠٨م، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال مقارنتها بالقومية الألمانية في ثلاثينيات القرن العشرين: فالزعماء النازيون طبقوا في الواقع ما كانوا يدعون إليه صراحة حتى قبل أن يتسلموا زمام السلطة. فهناك، فإن للجلادين فقط السلطة السياسية والأسلحة اللازمة لارتكاب إبادة جماعية ضد الأقلية اليهودية المخلصة والمسالمة. وقد عاش الأرمن وتصرفوا في بيئة عثمانية مختلفة كثيراً؛ فقد تم - مؤقتاً - وقف ترحيل معظم الجالية الأرمنية في أعقاب تمرد "وان"، وذلك بسبب

(١١٧) للاطلاع على الدور التركي في إنقاذ آلاف اليهود من المحرقة، انظر: Stanford J. Shaw, **Turkey and the Holocaust**, New York, Palgrave Macmillan, 1993.

الشتاء القاسي، وقد تم إيقاف الترحيل كلياً في أوائل ١٩١٦م. وبحسب البروفسور خلوق أوغلو، فإن حوالي ٤٥٠,٠٠٠ منهم قد رُحِّلوا إلى الجنوب من أماكن سكناهم الأصلية، وقد وصل عدد كبير منهم إلى مقاصدهم.

وبالإشارة إلى الخسائر الناجمة عن الظروف العامة للحرب، فإن المرض والأوبئة لا تنسجم مع منطق التفكير الذي يتم تبنيه لمجرد النقاش فقط، كما لا يمكن للخسائر التي تكبدها الأرمن نتيجة ما يزيد على عشر حروب ونزاعات مسلحة شاركوا فيها بفاعلية أن تلغى ببساطة، وسوف يتم التعامل مع هاتين النقطتين أدناه ببعض التفصيل؛ ففي عامي ١٩١٥م و ١٩١٦م وما تلاهما أيضاً بعد انتهاء الحرب، فإن المحاكم العثمانية هي التي حاكمت وأصدرت الحكم وأدانت وحتى نفذت عقوبة الإعدام، حيث كانت في بعض الأحيان غير ضرورية وغير عادلة.

إن تجارب اليهود الألمان والأرمن العثمانيين وظروف الأماكن التي تخص كلا منهما في التاريخ تبدو حقاً مختلفة جداً؛ إذ تهدف الدعاية القائمة على تلفيقات وتلاعب مدروس إلى استغلال حالة عاطفية والاحتفاظ بالهيمنة التي يمكنها أن تُوجِد أو تحافظ على استمرار العداء. وقد تم اختيار الرموز بطريقة تسمح بالتأثير في أناس لديهم تجارب مملوءة بالعواطف القوية، كما تساعد في خلق توازن مع من يتولى الدعاية؛ بحيث يطرح الأفكار وكأنها منطقية بما لا يقبل الشك. ويتضمن عدد من الطروحات الأرمنية كثيراً من هذه الاختلالات؛ إلا أنه، كما سيحاول القسم التالي أن يوضح، فعلى العكس من غالبية الأرمن العاديين في الشتات، فإن عدداً من مفكري تلك الأمة ذوي الفهم والخبرة الطويلة قد طرحوا القضية بأبعاد عادلة نسبياً.

٨- الابتعاد عن التوجه العام

بالنسبة إلى عدد لا بأس به من الأشخاص، ممن لديهم بعض المعرفة عن الأرمن في أواخر الحكم العثماني، فإن الإبادة الجماعية، وحتى عدة مجازر مما وقع لأبرياء، قد حدثت فعلاً. وبالنسبة إليهم، من الواضح أن الجناة هم "المسلمون غير المتحضرين" أو "الأتراك القساة". ومع ذلك، فإن بعض الأرمن لا يشاركون في هذه النظرة؛ فقد عبر عدد من الأرمن البارزين مثل هوفاهانس كاتشازنوي وكيه إس

بابازيان عن ابتعادهما عن المسار الفكري العام في هذا الموضوع؛ فقد تحدث الأول عن فائدة تجربته الواسعة كأول رئيس وزراء للجمهورية الأرمنية المستقلة في أوائل فترة العشرينيات من القرن العشرين، أما الثاني فقد كان أمريكياً من أصل أرمني بذل كل الجهود لإطلاع المواطنين في أمريكا على جرائم ما يسمى "بالاتحاد الثوري" (التي نسميها الآن "إرهاباً")، كما توجد روايات بريطانيين وأمريكيين وروس غير تقليديين.

يتألف كتاب هوفاهانس كاتشازنوي[118]، الذي جاء أصلاً بالأرمنية، من كلمته التي وجهها لأعضاء الداشناغ في بوخارست (١٩٢٣م). ونتيجة نقده الذاتي، ومنهجه الوسطي العام، لم يعد من السهل العثور على هذا الكتاب في المكتبات الرئيسة في العالم، حيث اختفى من الأرفف. وتقول "المقدمة" إن "الحقيقة التاريخية لا يمكن أن تُشَوَّهَ إلى الأبد". وعلى المرء أن يشير إلى الملاحظات التالية لكاتشازنوي حول اللجوء إلى السلاح: "... بدأت العصابات الأرمنية الثورية بالتشكل في أراضي القوقاز بحماسة كبيرة، وبضجة كبيرة جداً، وعلى النقيض من القرار الذي اتخذ خلال لقائها العام في أرضروم قبل بضعة أسابيع فقط، فإن الجبهة الثورية الأرمنية قد شاركت بفاعلية في تشكيل العصابات وفي عملياتها العسكرية اللاحقة ضد تركيا". ويمكن للمرء أن يشير إلى التاريخ في التصريح أدناه: "في مشروع بهذه القوة، مملوء بأخطر العواقب، فقد عمل عملاء الجبهة الثورية الأرمنية

(118) Hovhannes Katchaznouni, **The Armenian Revolutionary Federation (Dashnagtzoutiun) Has Nothing to Do Any More**, tr. Matthew A. Callender and ed. John Roy Carlson (Arthur A. Derounian), New York, Armenian Information Service, 1955. Also: Türkkaya Ataöv, **An Armenian Source: Hovhannes Katchaznouni**, Ankara, Sistem Ofset, 1984.

ويحتوي كُتَيِّبي على ملخص لكلمة كاتشازنوي الطويلة. كما احتوت نشرة الجمعية التاريخية التركية، التي نُشرت في أوائل ٢٠٠٦م، على النص الأرمني الأصلي بالإضافة إلى الترجمتين التركية والروسية. وللاطلاع على الترجمة التركية غير المختصرة عن الروسية، انظر:

Ovanes Kaçaznuni, **Tasnak Partisi'nin Yapacagi Bir Sey Yok (1923 Parti Konferansi'na Rapor)**, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2005. The latter in unabridged English: **Dashnagtzoutiun Has Nothing to Do Anymore**, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2006.

ضد إرادة المؤتمر العام للحزب... ففي خريف ١٩١٤م نظمت عصابات متطوعي الأرمن نفسها وحاربت ضد الأتراك لأنها لم تكن تستطيع منع نفسها من التنظيم... والقتال، وقد كانت هذه نتيجة حتمية لنفسية رَبَّى الأرمن أنفسهم عليها خلال جيل كامل، ولا بد أن تكون تلك العقلية قد عبرت عن نفسها، وهذا ما فعلته". كما "(أننا) فقدنا الحس بالواقع وانجرفنا بأحلامنا". ويُعَدُّ اعترافه التالي ذا دلالات: "لقد كانت الحرب معنا حتمية... ولم نقم بكل ما هو ضروري بالنسبة إلينا لتجنبها... وعندما بدأت المناوشات، اقترح الأتراك أن نلتقي ونتشاور. ولم نفعل ذلك وتحديناهم. وقد كان جيشنا حسن الغذاء والتسليح... لكنه لم يقاتل. فالجنود... منتشرون في القرى... ويواصلون النهب دون عقاب". ويتابع كاتشازنوي قائلاً: "لقد كان التنظيم يجري لدولة كبيرة والمطالبة بها تحت عنوان أرمينيا الكبرى من البحر الأسود إلى البحر الأبيض... (فمن) أين جاءت تلك المطالبة التوسعية المذهلة؟... لقد نشأت عقلية منحتنا حدود دولة على الورق. ولا شك أن تلك كانت خيانة..."

وعندما وصلت الجيوش التركية بقيادة كاظم قرة بكر إلى غومرو (ألكسندروبول، التي أصبحت فيما بعد لينيناكان)، ووثقت المذابح الأرمنية ضد الأتراك في هذه الأثناء، كانت النتيجة الوحيدة هي معاهدة غومرو، بتاريخ الثاني من ديسمبر ١٩٢٠م. وبموجب المعاهدة، التي وقعها قرة بكر والكسندر خاديسيان (رئيس الوزراء بالنيابة عن الأرمن)، اتفق الطرفان على عودة اللاجئين من خارج الحدود، باستثناء من التحقوا بجيش العدو ومن عبروا الأراضي المحتلة وشاركوا في المذابح، وذلك خلال الحرب العالمية الأولى، وعدم الاستماع إلى مطالب اللاجئين الذين لا يعودون خلال عام واحد من إقرار المعاهدة. كما اتفق الطرفان أيضاً على "الاحتفاظ بحقهما في المطالبة بالتعويضات عن الأضرار". والأهم من ذلك، أعلنت حكومة إيريفان أن معاهدة سيفر باطلة ولاغية وقد رفضها الأتراك تماماً؛ أما الجمعية القومية الكبرى، وباستدعاء المفاوضين الذين كانوا أدوات بأيدي الدول الإمبريالية. فقد وعدت "بعزمها على إزالة أسباب سوء الفهم بين الدولتين.. (وأن) تبعد عن الدوائر الحكومية كافة الرجال ذوي النزعات القتالية الذين يسعون إلى تحقيق أهداف إمبريالية..." وقد تغيرت العلاقات بين الشعبين لدرجة أن سيمون

فراتزيان، آخر رئيس وزراء لجمهورية أرمينيا المستقلة طلب، في رسالة بتاريخ ١٨ مارس ١٩٢١م "مساعدات عسكرية" من حكومة أنقرة بقيادة مصطفى كمال(١١٩)، وقد تنازلت أرمينيا عن جميع مطالبها بالأراضي من تركيا، ليس فقط بموجب المعاهدة التي وُقِّعَتْ في غومرو، ولكن أيضاً بمعاهدات وُقِّعَتْ في موسكو وقارص (سنة ١٩٢١م).

ويقدم كتاب كابريل سيروب بابازيان(١٢٠) للأرمن الناطقين بالإنجليزية في الولايات المتحدة وللشعب الأرمني بشكل عام صورة لنفس المنظمة التي حللها كاتشازنوي في بحثه المطول سابقاً. وقد حظي الداشناغ بشهرة كبيرة فيما يتعلق باغتيال رئيس أساقفة الأرمن ليون توريان في نيويورك، ويعتقد المؤلف أن "فهم الخلفية، والأحداث الماضية، والأهداف والوسائل" التي للداشناغ أمر مهم؛ فالمؤلف الذي يعترف بأن بطاركة الأرمن في اسطنبول قد تمتعوا بامتيازات بموجب المراسيم القديمة للسلطان العثماني، يقول إن "مؤلفات الداشناغ مملوءة بقصص استخدام الإرهاب". ومن المؤثر جداً أن نرى هذا المؤلف الأرمني يستخدم مصطلح "الإرهاب" في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين فيما يتعلق بأعمال عناصر معينة من قومه. ويصف بابازيان استغلالهم "لسنوات من الصراع التائه ضد الحكومات التركية...". كما يذكر أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في أوروبا، أعطى الداشناغ تطمينات للأتراك أنه في حال نشبت حرب بين روسيا القيصرية والإمبراطورية العثمانية، فسوف يساندون الأخيرة كمواطنين مخلصين، لكنهم لم يلتزموا الوعد الذي قطعوه. ويضيف قائلاً: "لقد قدمت المجموعات الأرمنية المتطوعة خدمات جليلة للجيش الروسي". ويكشف المؤلف الحقيقة التالية المعروفة لدى الأتراك التي تُذكر لهم كثيراً: "إن الطريقة التي استخدمها الداشناغ في تجنيد

---

(١١٩) لم يذكر البروفسور هوفانيسيان من جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس. وإس آي فراتزيان هذه الاتفاقيات المهمة وطلب المساعدات العسكرية. Richard G. Hovannisian, "Simon Vratzian and Armenian Nationalism," **The Armenian Review**, Vol. XXIII, No. 1-89 (Spring 1970), pp. 3-35; Simon Vratzian, **Armenia and the Armenian Question**, Boston, Hairenik Publ. Co., 1943.

(120) K. S. Papazian, **Patriotism Perverted**, Boston, Baikar Press, 1934. Also: Ataöv, **An Armenian Author on "Patriotism Perverted"**, op. cit.

هذه المجموعات كانت واضحة وصارخة بحيث لم تكن تخفى على السلطات التركية". ويعترف المؤلف بحقيقة أخرى مهمة: "وكما هو واضح من الإحصاءات التركية والروسية وغيرها في أرجاء العالم كافة، من الوضع الاجتماعي الراسخ، فإننا، مرة أخرى، في هذه المناسبة، نؤكد أنه لم تكن هنالك أرض داخل الحدود العثمانية كان يشكل فيها الأرمن أغلبية".

وهنالك تقرير بريطاني (١٨٩٥م) وسَرْدٌ قصصي لأحد الصحفيين الأمريكيين (١٨٩٥م)، وكتاب بريطاني (١٩١٦م) وروايات شاهد عيان من بين الضباط القياصرة الثلاثة، حيث ترد جميعها إلى الذاكرة كمصادر غربية أساسية معتدلة حول قضية خلافية. وأولها تقرير الكابتن سي بي نورمان، وهو ضابط في المدفعية الملكية؛ حيث يحكم على الصراع الأرمني التركي في أواخر القرن التاسع عشر، مبتعداً عن النظرة التقليدية، وذلك في مخطوطة من المدهش أن تحمل عنوان "إزاحة قناع الأرمن". وثانياً، لا يُحَمِّلُ مراسل صحيفة النيويورك تايمز "المسؤولية للأتراك"، لكنه يضعها على عاتق الطرف الثاني عما يسميه بـ"المشكلات الأرمنية". وثالثاً، يناقش الكاتب البريطاني الشهير، في ذلك الحين، سي إف ديكسون-جونسون، ما حدث في تلك السنة المهمة ١٩١٦م، بقوله: إن هنالك "جانباً آخر" للمسألة الأرمنية. وأخيراً، يشير ضباط القيصر الثلاثة إلى مذابح الأرمن ضد الأتراك التي شاهدوها في شرقي الأناضول.

ويقول الكابتن نورمان:(١٢١) إنه حتى الآن كان لدى البريطانيين "الرواية الأرمنية فقط عن الاضطرابات التي زينتها التعبيرات الهستيرية لزملائهم الإنجليز". ويتابع ليصرح قائلاً:" لقد حان الوقت أخيراً لنشر القصة الحقيقية للصراع التركي-الأرمني". ويضيف أن الإنجليز قد "سمعوا قصصاً إلى حد الغثيان عن المجازر، وعن حالات النهب، وعن اغتصاب النساء"، لكن "لم يتم تأييد أي من تلك القصص ولو بشاهد عيان أوروبي واحد". ويعتقد أنه قد ذكر "حقائق" ربما يمكنها أن "تُحَوِّلَ اللوم... ليقع على عاتق المتسببين الحقيقيين في التمرد في الأناضول". ولم يكتب

(121) Türkkaya Ataöv, **A British Report (1895): "The Armenians Unmasked"**, Ankara, Sevinç Matbaasi, 1985.

بمثل هذه الكثرة "عن الهدف المعلن الخاص بإثبات أن الأرمن هم نموذج الضحية وأن الأتراك هم الجلادون المتوحشون"؛ لذا يعتبر الكابتن أن من الضروري "لمصلحة السلام والحقيقة والعدل الإشارة إلى أهداف ومقاصد الثورات الأرمنية". ويُدَوِّنُ الكابتن قوله: إن لجنة الداشناغ الأرمنية كانت "مسؤولة مباشرة عن حالات سفك الدماء في الأناضول كافة خلال السنوات الخمس الماضية". ويواصل القول: "هنالك أدلة كثيرة ... تثبت، ودون خشية أية تناقضات، أنه في كل مرة وكل حالة فإن الاضطرابات كانت من فعل الأرمن". ويقتبس من "البيان" الأرمني، المؤرخ في التاسع عشر من نوفمبر ١٨٩٥م الذي دعا إلى ما يلي: "سَلِّحُوا أنفسكم الآن للمعركة... فلنستل سيوفنا وننقض على العدو...". ويذكر أن الشعب الأرمني كان "مُعَدَّاً للتمرد" بفعل المقالات النارية التي نُشرت في لندن وفيينا ونيويورك. ويضيف أن كتاب تلك المقالات، الذين لم تطأ أقدامهم جبال ساسون، "قد خُدِعُوا من قِبَلِ الحالمين الأرمن". ويؤكد بشكل مقنع أن"القصة المثيرة للسيدات الأرمنيات وهن يلقين بأطفالهن من فوق الصخرة على أنتياخ داغ، ورميهن أنفسهن لتجنب العار ما هي إلا أسطورة مطلقة". ويدون قائلاً: إن عدد الأرمن الذين قيل إنهم قُتلوا في حي ساسون كان أكثر بمرتين على الأقل من عدد الذين عاشوا هناك. وبالمثل، وفي بيرسيك، حيث عاش ٩٧٨ أرمنياً غريجورياً وحيث يُفترض أن ٢,٠٠٠ منهم قُتلُوا، "فقد قُتِلَ خمسة (أرمن ومسلمين) فقط". كما التقى الكابتن شخصاً يدعى أرسلانيان وصل إلى نيويورك من مارسيليا، وكان قد أُوْدِعَ أحد السجون التركية فيما بعد، حيث كان يُفْتَرَضُ أنه كان يتضوَّر جوعاً وشهد حالات إعدام جماعي فيها؛ حيث كتب أنه تمتع "بتناول اللحم ثلاث مرات في الأسبوع... ولم يخضع لأي تعذيب" ولم يشاهد أي حالات إعدام.

وهنالك صحفي أمريكي، أرسل خمس رسائل من اسطنبول ونشرها بشكل منفصل في كتيب بعنوان: المشكلات الأرمنية وأين تقع المسؤولية The Armenian Troubles and Where the Responsibility Lies، حيث من الواضح أنه اعتقد أن أحداث التسعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي كانت "ملوثة بأكاذيب

ومبالغات"[١٢٢]، ويصف المراسل الأمريكي الادّعاء الأرمني بأن الأتراك كانوا متورطين في مجازر مع سبق الإصرار ما هو إلا أمر "سخيف". ويقتبس الصحفي كلام سايروس هاملن، وهو أحد مؤسسي كلية روبرت، وهي أول جامعة أُنشئت خارج حدود الولايات المتحدة، حيث يوافقه الاعتقاد القائل بأن العصابات الأرمنية "ستنتهز فرصتها لقتل... وإحراق قراهم ومن ثم الهرب إلى الجبال". وسوف يثور المسلمون الغاضبون، ليُمكِّنوا الروس من "الدخول باسم الإنسانية والحضارة المسيحية". ويزعم أن "الذهب والصناعة الروسية" يحكمان الطرف الأرمني. وقد انضم إلى مراسل للأسوشيتد برس يعتقد أن مجموعة من "المتآمرين الأرمن دبروا مقتل إدوارد ريغز واثنين من المبشرين الأمريكيين في مارسوفان، وألقوا باللائمة على الأتراك". ويوضح أن القصة، التي كانت تثير العالم بعض الوقت، حول زوجة قائد أرمني رمت بنفسها مع طفلها في حفرة، وتبعتها نساء أخريات إلى أن امتلأ الوادي الصغير بالجثث، كانت تأليفاً مريعاً، حيث أُضيفت إلى القصة أمور من "حكاية قديمة في قصيدة للسيدة هيمانس قبل سنوات، بعنوان الأم سيوليوت". وقد ذكر أن الطرف الأرمني "كان ينهال عليه المال والسلاح من باتوم، وتيفليس وإيريفان، وإتشميادزين، وأماكن أخرى من روسيا أيضاً... ومن بلاد فارس". ويذكر حالات أفراد، بمن فيهم مدرسون أمريكيون ومبشرون، هددتهم اللجان الأرمنية في حال رفضوا الانضمام إلى مؤامرتهم. ويضيف قائلاً: "لا توجد أرمينيا في تركيا" لكن مجرد أرمن لا يشكلون أكثرية في أي جزء من الأناضول. ولا تقع المسؤولية عن الفوضى على الأتراك، وهو ما "يرفض الرأي العام الغربي الواقع تحت تأثير فكر ديني كبير، أن يقر أو يعترف به". ويقتبس كلام العميد البحري كيركلاند، القائد العام للفرقة البحرية الأمريكية الأوروبية حيث يقول: "إن علاقة السلطان بهذه المشكلة بعيدة منها كبعد حاكم ولاية مساشوسيتس".

وقد نُشِرَ كتابُ سي إف ديكسون-جونسون، الذي يحمل عنوان «الأرمن» The Armenians[١٢٣]، في زمن كانت بلاده، بريطانيا العظمى، والعثمانيون يتقاتلون

(122) Türkkaya Ataöv, An American Source (1895) on the Armenian Question, Ankara, Sistem Ofset, 1986.

(123) Northgate, Blackburn, Geo. Toulmin and Sons, 1916.

على عدة جبهات، وهي الدردنيل، والسويس وسيناء وفلسطين والبصرة(١٢٤)، واعتماداً على أحداث ١٩١٥م، فإنه يكتب أن "القصص المؤثرة تُمَرَّر كتقارير أصلية ليتقبلها رَأيٌ عام يصدق أي شيء". ويضيف قائلاً: "... إن يداً معروفة جداً... وهي اللجان الأرمنية الثرية... المنتشرة في أوروبا وأمريكا" كانت تخدع القيادات في هذه الدول. وبالتأكيد على أن "الحقائق... هي بعكس ذلك"، فإنه يرى أن الأتراك وقد نالوا هزيمة نكراء في القوقاز؛ فقد كانوا بحاجة إلى كل رجل وذخيرة لصد الروس الزاحفين. ويرد قائلاً: إن من غير المعقول أنه دون حصول أي استفزاز، أن يختار الأتراك لحظة غير مناسبة تماماً لاستخدام قوة كبيرة من الجنود والدرك مع المدفعية لاستثارة عش دبابير على مؤخرة الدولة. ويختتم قائلاً: "لقد كان الأرمن هم أنفسهم من بدأ المشكلات بإثارة التمرد". ويقول إن عصابات الأرمن المسلحة من المتطوعين كانت تعمل في البلاد منذ مارس ١٩١٥م، وقد كان اللورد برايس وكذلك "أصدقاء أرمينيا" يطلبون المال لشراء اللباس والمعدات لهم قبل "هذه المجازر المزعومة غير المبررة". كما أن روسيا القيصرية كانت تسلح الأرمن أيضاً وتساندهم في الاستعداد للتمرد. وبفعل تحريض العملاء الروس والثوار أنفسهم، فقد انتفضوا في تمرد واحتلوا بلدة "وان". وبحسب تعبير ديكسون-جونسون، فإن "السلطات التركية.. لم يكن لديها بديل آخر سوى أن تأمر بالتخلص من العناصر المتمردة وإبعادها إلى مكان بعيد عن مسرح العمليات". أما المسلمون الباقون، فقد كانوا "لا حول لهم تقريباً". ويختتم بالقول إن "التأكيدات غير صحيحة" ويجب ألا تبث فقط لأنها "قد تكون ضارة بالعدو".

إن تقارير الضباط القياصرة الثلاثة المكتوبة يدوياً تصف الاعتداءات على الأتراك الضعفاء، التي شهدوا كثيراً منها(١٢٥). إن تقرير المقدم تفيردو-خليبوف، القائد المساعد لتحصينات أرضروم وديفيبيونو، وقائد كتيبة المدفعية الثانية في قلعة أرضروم، يحوي أحداثاً منذ تشكيل الكتيبة المذكورة وإعادة استيلاء الأتراك على المدينة. ومع أن القوات العسكرية كانت من جنسيات مختلفة، حيث كانت

(124) Ataöv, **A British Source (1916) on the Armenian Question**, op. cit.

(125) Türkkaya Ataöv, **The Reports (1918) of Russian Officers on Atrocities by Armenians**, Ankara, Tinaz Matbaasi, 1985.

أرمنية في معظمها، فإن القادة الضباط كانوا روساً بشكل عام؛ كما أن الجنود كان ينقصهم الانضباط، وكانوا قد انخرطوا في "الهرب، والنهب والسرقة وتهديد الضباط". وقد أعلن الفريق أديشيليدزي (من أصل جورجي)، الذي شهد الوحشية التي ارتكبها الجنود الأرمن، أنه قد يضطر إلى توزيع السلاح على الشعب التركي ليتمكن من الدفاع عن نفسه. وقد أعلن العقيد الأرمني تاركوم، الذي نظم استعراضاً لجنوده وأمر بتمرين مدفعي كشكل من أشكال الضغط على الأتراك، عن إنشاء "الدولة الأرمنية" (في أرضروم)، حيث نصب نفسه رئيساً للحكومة. وقد توالت التقارير الواحد تلو الآخر تفيد أن الأرمن يقتلون الأتراك فرادى أو جماعات. وبفعل الخوف من الأرمن، لم تتمكن محكمة عسكرية من معاقبة أيٍّ من المجرمين. وقد شهد خليبوف، الذي كتب أنه حتى القاتل الذي ألقي هو نفسه القبض عليه كان يجب أن يُطلق سراحه، كما شهد الدخول القهري للأرمن إلى مساكن المسلمين، وشاهد السكان الأتراك وهم يُسحبون خارجها. كما تعالج تقارير كل من الكابتن إيفان غوكيليفتش بلات والدكتور خورشينوف عدة جرائم، وأعمال التخريب وسرقة الدواجن، حيث ارتكبت كل هذه الأعمال مجموعات من الأرمن.

فهذه مؤلفات منشورة أو تقارير رسمية لكتاب ورجال دولة أو ضباط عرضوا درجات مختلفة من الواقعية و/أو العدل. وهي ليست الوحيدة، التي تعالج بكفاءة أخلاقية وتنظر إلى الأدلة كافة، وتهتم بالنقاشات التي كانت مهملة في العادة. فهنالك عدد قليل جداً من الغربيين، من بينهم مؤرخون بارزون، ممن عالجوا الخلاف بطريقة متوازنة. وحتى السير تشارلز إليوت، الذي يصعب حسبانه نصيراً للأتراك، يؤكد ـ رغم ذلك ـ أن الأرمن كانوا "راضين تماماً بالعيش بين الأتراك"[١٢٦]. ويرى غريتان غيري أن الدولة العثمانية لم تتدخل في ما كان يقوم به المسيحيون أو يدرسونه في مدارسهم وكنائسهم[١٢٧]. ويعترف السير إدوين بيرز أن دعاة الفكر السياسي في أرمينيا، كما كان الحال في بلغاريا من قبل، هم مديرو المدارس والبعثات، والكاثوليك والبروتستانت[١٢٨]. ويكتب فريد برنابي: "لو كانت

(126) 'Odysseus,' **Turkey in Europe**, London, Edward Arnold, 1900, p. 21.

(127) **Through Asiatic Turkey**, London, M.S. and R. Sampson, 1878.

(128) **Forty Years in Constantinople**, London, Herbert Jenkins, 1916.

للأرمن اليد العليا في الأناضول، فسوف تكون حكومتهم أكثر فساداً من الإدارة الفعلية. وقد دل على ذلك الأرمن أنفسهم"(١٢٩)، ويفضح السير مارك سكايز الجماعات الأرمنية بالعبارات التالية: "لقد ألقى الفوضويون القنابل بقصد إحداث مجزرة لإخوانهم في البلاد..."(١٣٠). ويقول السير مارك سكايز في كتاب آخر(١٣١): "لم يعرف هؤلاء المجرمون سوى القليل" عما ستكون عليه عواقب مثل هذا العمل، "طالما أنه يجلب اهتمام أوروبا بقضيتهم ويضيف أموالاً إلى صناديق تبرعاتهم". وقد كتب سيدني ويتمان، الذي كان في البداية مراسلاً لصحيفة النيويورك هيرالد في إسطنبول وبعدها مؤلف كتاب(١٣٢)، حيث قال: إن الفكر الأرمني في العواصم الأوروبية لم يترك المجال لأية كلمة جيدة تقال عن الأتراك؛ فقد صَوَّرَ الأتراك على أنهم متعصبون متعطشون لدم المسيحيين. كما حذر عدد آخر، بمن فيهم نوبل باكستون ووالتر غينيش، من الخطر الكبير الماثل في دخول الأساليب المقدونية إلى آسيا الصغرى، وبشكل أساسي بدعم الروس، حيث حرب العصابات وكل ما يرافقها من رعب. ومن بين العلماء الكبار المعاصرين: البروفسور ستانفورد جيه شو، وجوستين مكارثي، وهيث دبليو لاوري، الذين ذكرت إسهاماتهم في هذا البحث.

وفي عهد قريب، رفض إدوارد طاشجي، وهو مواطن أمريكي وابن والدين أرمن-سريان (أرثوذكس سوريين) أتراك، أن يتبع النغمة الآمنة المعهودة: حيث قرر أن يكون باحثاً عن الحقيقة من الطراز الأول. وقال: "لقد غُرِسَتْ وحدة شعوبنا في قلبي من قبل والديَّ اللذين عبرا عن الرحمة بدل الانتقام، والحقيقة بدل الكذب، والحب بدل الكراهية"(١٣٣). أما صامويل إيه ويمز، وهو وكيل مقاطعة وقاض سابق في

---

(129) Frederick Burnaby, **On Horseback Through Asia Minor**, U.K., Oxford University Press, 1996; U.S., The Long Riders Guild Press, 2001, p. 28.

(130) **The Caliph's Last Heritage**, London, Macmillan, 1915.

(131) **Dar-ul Islam: a Record of a Journey Through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey**, London, Bickers and Son, 1904, pp. 72-78.

(132) **Turkish Memories**, New York, Scribner, 1914.

(133) Edward Tashji, **Armenian Allegations: The Truth Must be Told**, USA, Rose International Publishing House, 2004.

الولايات المتحدة، فيدرس الأنشطة الداخلية للأرمن في أوائل القرن العشرين، وذلك في كتاب جديد يبحث في أسباب "العداوة بين المسلمين والأرمن"(١٣٤)، وقد تحول غينتر ليوي، وهو مؤرخ أمريكي، إلى دراسة الموضوع نفسه بعقلية متوازنة بما لديه من معرفة كاملة بمختلف المصادر(١٣٥).

٩- الحروب والإصابات

لقد اقتبستُ من قبل رسالة بوغوس نوبار باشا، رئيس الوفد القومي الأرمني إلى مؤتمر باريس للسلام الذي أعقب الحرب، وهي الرسالة الرسمية الموجهة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، والتي قُدِّر عدد الأرمن المرحلين فيها بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ إلى ٧٠٠,٠٠٠ شخص، حيث حدد من بينهم٣٩٠,٠٠٠ قد وصلوا إلى مقاصدهم. وقد أكدتُ أن هذا البيان الرسمي لا يشير أبداً إلى أن الـ ٢٦٠,٠٠٠ الباقين قد قُتلوا من قبل الأتراك. ويُقَدِّرُ بعض المؤرخين الأتراك، كما كنت قد أشرتُ، عدد الأرمن المرحلين بحوالي ٤٥٠,٠٠٠، مما يقلل الفرق إلى ٦٠,٠٠٠، مع عدم افتراض أنه تم ذبحهم بشكل مدروس. فبعض الأرمن عبروا الحدود طوعاً قبل التهجير القسري وخلاله. وكثير منهم قد شارك، في شكل كتائب مسلحة تسليحاً ثقيلاً، في عشر حروب تقريباً ومواجهات عسكرية مماثلة؛ حيث قَتَلُوا فيها وقُتِلُوا أيضاً. وتُشكل هذه المواجهات المسلحة جزءاً من الحقيقة، ويتم ذكرها في عدد من المذكرات والمؤلفات والتحليلات الأرمنية. ولا يمكن إلقاء اللوم على الأتراك نتيجة الهجرة الطوعية والقتلى الذين سقطوا في ميادين المعارك، كما أنه لا يمكن تحميلهم المسؤولية عن الظروف العامة للحرب والأوبئة الشديدة، التي قضت على أرواح أتراك وأرمن على حد سواء. ولكن كانت هنالك هجمات وحشية على الأرمن، وقد كانت المحاكم العثمانية هي التي حاكمت كثيراً من المجرمين وأنزلت بهم العقاب.

ولم يكتف الأرمن العثمانيون بحمل السلاح فقط في "وان" البعيدة وتسليح الولاية بكاملها، بل شارك هؤلاء بفاعلية في عشر حروب أهلية وتقليدية تقريباً،

(134) Samuel A. Weems, **Secrets of a "Christian" Terrorist State: Armenia**, Dallas, TX, St. John Press, 2002.

(135) Guenter Lewy , **The Armenian Massacres in Ottoman Turkey: A Disputed Genocide**, Salt Lake City, The University of Utah Press, 2005.

وغيرها من المواجهات العسكرية الخطيرة، خلال السنوات الثماني القصيرة والمهمة بين الأعوام ١٩١٤ إلى ١٩٢٢م. والأمر الذي يجب أن يحظى بالاهتمام هو حقيقة أن كثيراً من الأرواح على كلا الجانبين، بمن فيهم المهاجمون الأرمن، قد قضت حتماً خلال هذه الاشتباكات المتكررة.

وتمثل العبارات التالية، التي وردت في مذكرة، قُدِّمَتْ من قِبَلِ ممثلي الأرمن إلى مؤتمر باريس للسلام سنة ١٩١٩م، اعترافاً وإقراراً: "... قاتل الأرمن المتطوعون على الجبهات كافة". ففي الفيلق الفرنسي الأجنبي، "قاتلوا في سوريا وفي فلسطين... (و) شكلوا أكبر عنصر،... أكثر من نصف مجمل الكتيبة الفرنسية". وقد أدوا "دوراً أساسياً في النصر المظفر للجنرال اللنبي... وفي القوقاز، حيث إنه بالإضافة إلى أكثر من ١٥٠,٠٠٠ رجل أرمني، كانوا قد خدموا الجيش الروسي على الجبهات كافة، فإن جيشاً قوامه ٥٠,٠٠٠ رجل وآلاف المتطوعين حاربوا بقيادة القائد الأعلى الجنرال بانزاربيكيان"(١٣٦).

ذكرت في الصفحات السابقة أن مصدرين أرمنيين، نُشِرَا في نيويورك، ولمّا يخمد لهيب الحرب بعد، قد قدما أرقاماً أكبر. فقد حدد أحدهما أنه "خلال الحرب العالمية، حارب ٢٠٠,٠٠٠ أرمني كوحدات مستقلة أو في جيوش الحلفاء"(١٣٧)، وقد تجرأ المصدر نفسه على القول إن "الأتراك أكثر بعداً من أوروبا من الصين واليابان" وإنهم "يؤمنون بدين كان على مدى اثني عشر قرناً أكبر عدو للمسيحية". وقد شدد بشكل منظم على أن "الأتراك لا مكان لهم في أوروبا ولا بين الأمم المتحضرة"(١٣٨)، وقد ذكرت اللجنة الأرمنية-الأمريكية في مؤلف آخر أن

---

(136) "The Armenian Question Before the Paris Peace Conference: A Memorandum Presented Officially by the Representatives of Armenia to the Peace Conference at Versailles on February 26, 1919," **The Armenian Review**, XXVII, No. 3-107 (Autumn 1974), pp. 231-232.

كان ممثلو الأرمن هم أفيتيس أهارونيان، رئيس وفد جمهورية أرمينيا المستقلة، وبوغوس نوبار باشا، رئيس الوفد القومي الأرمني.

(137) American Committee Opposed to the Lausanne Treaty, **The Lausanne Treaty and Kemalist Turkey**, New York, 1924, p. 19.

(١٣٨) المؤلف السابق ص ١٤-١٧

"أكثر من ۲۰۰,۰۰۰ أرمني حاربوا في الحرب العالمية الأولى"(١٣٩)، وبالمثل، وُجِّهَت مذكرة تحمل تاريخ الخامس عشر من يناير ١٩٢٢م، من قبل ١١٦ عضواً في البرلمان الفرنسي، إلى ريموند بونكير (رئيس الجمهورية الثالثة، ١٩١٣-١٩٢٠م، ورئيس الوزراء في ذلك الحين)، حيث أعادت حقيقة أن "أكثر من ۲۰۰,۰۰۰" أرمني قاتلوا في الحرب(١٤٠).

إن أعداد الأرمن المسلحين الذين قاتلوا بشراسة في الحرب، في الأغلب على جبهة القفقاس، وأيضاً على التراب العثماني شرقي المتوسط، وجنوبي الأناضول، وسيناء، وفلسطين، وسوريا، وحتى في غاليسا، تناقض القول المكرر بأن الأرمن كانوا مجرد جماعات من المواطنين الهادئين، المهذبين غير العدوانيين، وغير العنيفين، والمسالمين، والمحبين للسلام، والمساكين والقليلي العدد الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا يتمتعون بحماية، وغير مسلحين وضعفاء، تألفوا في الغالب من رجال مسنين ونساء وأطفال. كما تناقض تصريحات واعترافات العديد من الأرمن والكتاب الآخرين تلك الصورة الخاطئة، التي تم نشرها في ذلك الزمن وبثها على نطاق واسع اليوم أيضاً.

وتشير رسالة تحمل تاريخ الثلاثين من نوفمبر ١٩١٨م موجهة إلى إس بيكون، وزير الخارجية الفرنسي، من قبل بوغوس نوبار، رئيس الوفد القومي الأرمني في باريس، بأن: "الأرمن كانوا، منذ بداية الحرب، محاربين فعليين"(١٤١)، كما أن هوفاهانس كاتشازنوي، أول رئيس وزراء لأرمينيا المستقلة في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، كتب أنهم لم يكونوا "خائفين من الحرب"، لأن "جيشهم كان حسن التغذية والتسليح و(اللباس)..."(١٤٢).

ما هي أفعال الكتائب الأرمنية "التي تمتعت بتغذية وتسليح جيدين"؟ إنها بحسب

(139) American Committee Opposed to the Lausanne Treaty, **The Lausanne Treaty, Turkey and Armenia**, New York, 1926, p. 143.

(١٤٠) المؤلف السابق ص ١٣١.

(141) "...les Arméniens, des le début de la guerre, ont été des belligerents defacto..." This letter is registered by the French Foreign Ministry on 3 December 1918.

(142) **Armenian Source: Hovhannes Katchaznouni, op. cit**, p. 8.

كاتشـازنوي، لم تتـمكن من "القتـال". فقد كـانت باسـتـمـرار "تتـرك مـواقعـهـا". لكن "الدمـار والنهب" تواصـلا "دون عقـاب... فقد كان نظام العـصابات الجـوالة... يعـمل على تدمـيـر وحـدة وتنظيم الجـيش"[١٤٣]. لكن ليـست هذه هـي الصـورة المـرسـومـة لنفس المقـاتلين التي طرحـهـا أرمن آخـرون وحـالمون. فـبـحـسب الطرف الأخـيـر، فـإن "مهارتهم وشجـاعـتـهم" لا يمكن وصـفـهـمـا. فـعلى سـبـيل المثال، يقـول اللورد روبرت سيسيل، وهو يكتب من وزارة الخارجيـة البريطانية في الثالث من أكتوبر ١٩١٨م: إن "مـسـاهـمـاتهم العـسكرية.. لا يمكن أن تُنسى"[١٤٤]، فـقـد أظهـروا "قـدرات قـتـاليـة ممتازة" حيث صـدوا عشـرات الآلاف من الجنود الأتراك النظاميين، سـواء حـول جبل الموسى[١٤٥] في سـاسـون، وفـي أورفـا، أو فـي أمـاكن أخـرى. وبحـسب اللورد برايس، فحـتى نسـاؤهم قاتلن الأتراك بـ"السكاكين والشـوك والدبابيس والحـجـارة". وقـد كـرر بعض المؤرخين الغـربيين ـ الذين يُعـرفـون في غيـر هذا المقام بالرصانة والإخـلاص ـ القصص غيـر المعقـولة التي تفيـد أن "٣٠٠٠ امـرأة وفتـاة شـربن السم، وعندمـا نـفد السـم، فـإن من بقـين منهـن، تلون صلواتهن وألقين بأنفـسـهـن من أعلى الجـبـل في الوادي حتى لا يقعن بأيدي الأتراك"[١٤٦].

ومع أن المرء يتـوقع من المؤرخين الـذي لا يعتـدون بالهـراء أن يتسـاءلوا عن صـحـة هذه الأكاذيب غيـر المعقولة، إلا أن البعض جرفتـه العاطفة، ولاسـيما في ظل ظروف الحرب الاستثنائيـة، لينشر تقـريبـاً أي نقـاش شفهي يخـدم النصـر في ميدان المعـركة أولاً، وفي غرف المداولات الدبلوماسية لاحقاً.

ويتـراوح وصـفـهم للأرمن خـلال الحـرب بين الضـعـف والمسكنة، من نـاحـيـة، وكـقـوة ظاهـرة تضـمن النصـر للحلفـاء من ناحيـة أخـرى. ويبدو أن تسلسل أفكارهم هو على النحـو التـالـي: أولاً وقـبل كل شيء، الجـبـهـة القـوقـازيـة، حـيث حـارب الروس والأرمن

(١٤٣) المرجع السابق.

(١٤٤) ورد في: The Lausanne Treaty, Turkey and Armenia, op. cit., p. 125.

(١٤٥) يفترض أن ٤٠٥٨ أرمنياً تحدوا مرسوم الترحيل قد انسحبوا إلى ذلك الجبل، لكنهم أُخذوا من هناك ونُقلوا إلى بورسعيد على متن الباخرة الفرنسية جيان دي أرك بدعم من السفن البريطانية.

(146) The Luasanne Treaty, Turkey and Armenia, op. cit., p. 128.

ضد الأتراك، إذ ثبت أنها أهم مما كان يُعتقد في البداية. ففي الوقت الذي وجه فيه الألمان ضربات قوية فاتحين بعض أجزاء أوروبا الشرقية، مخففين الضغط على محور النمسا-هنغاريا، وجاعلين جيوش القيصر في البلقان معاقة، بعد أن أثبتت روسيا أنها أضعف مما كان متوقعاً، وكان يمكن أن ينشأ وضع خطير، ربما كان سيغير عجلة الحرب، لولا مساعدة الأرمن في القوقاز؛ إذ أحبط الأرمن ليس الهجمات التركية فحسب، بل الخطط الألمانية أيضاً.

ثانياً، يتواصل النقاش، إذ حارب الأرمن مع الجيوش الفرنسية والبريطانية، إضافة إلى الجيوش الروسية؛ فقد اشتبكوا وأوقفوا ـ أو صدوا ـ الوحدات التركية، كما أجبروها على تحويل قوات كبيرة من جبهتي فلسطين والبصرة، ما سهل إلى حد كبير تقدم القوات البريطانية على هذين المسرحين. وبالطبع كان الأرمن قد قدموا بضع كتائب لخدمة بريطانيا؛ إذ أُطلق على "فيلق الشرق" لاحقاً اسم "فيلق الأرمن"، كما انضموا إلى الفيلق الفرنسي الأجنبي للقتال على عدة جبهات، وكذلك خدموا في الوحدات الفرنسية النظامية.

وبشكل أكثر تحديداً، تُسجل الملفات الأرمنية أن الأرمن المسلحين- أي الوحدات المستقلة، التي تساند الوحدات في القوات الحليفة والجيوش النظامية- قد حاصرت الجيش التركي العاشر في ممر بردوز بالقرب من صاري قاميش، وهاجمت قوات خليل باشا، وساعدت على كسر العمود الفقري للمقاومة التركية في فلسطين. وقد شكرهم العميد الروسي (الجنرال كاليتين) قائد الجيش الروسي الأول، على "خدماتهم" الممتازة". وقد دَوَّنَ عميد روسي آخر (الجنرال غوليجا) ونائبه (العقيد بوكيرتوف) أن الفيلق الأرمني الثالث بقيادة قائده (هامازاسب) صَدَّ العدو (أي الأتراك). وقد نسب تقرير رسمي للجنرال ترخين، رفعه إلى وزير الحرب الروسي، النصر على الأتراك إلى النيران الدقيقة للمدفعية، التي كانت ثلاثة أرباعها مؤلفة من الوحدات الأرمنية بقيادة ضباطهم (أندرانيك، ودرو، وهامازاسب). وبينما عملت الكتيبة الأرمنية الأولى من المتطوعين تحت قيادة أندرانيك، فإن العميد الروسي نفسه كان تحت قيادة ضابط أرمني آخر (نازاربيكوف).

بصرف النظر عن القوات النظامية، فقد كانت الجبال تعج بالرجال الأرمن غير

النظاميين، الذين تحملوا "صدمة القتال". وقد ذكر العقيد الروسي أوبرانتسوف، وهو قائد في الوحدة الروسية الثانية، في تقرير بتاريخ الخامس عشر من أبريل ١٩١٦م، أن الفيلق الأرمني الثالث "احتل كامل خطوط الأعداء (الأتراك) المحصنة". وقد هنأ الجنرال كوليبياكين العقيد أوسيبيان، قائد الفيلق الأرمني الرابع، على "النصر المظفر" الذي حققه الأخير. وقد كانت القوات الأرمنية هي الوحيدة التي واصلت قتال الأتراك حتى بعد انسحاب الجيش الروسي من جبهة القوقاز في ديسمبر ١٩١٧م، وقد كانت أقصى نقطة وصل إليها الروس في آسيا الصغرى تبعد ٢٠٠ ميل خارج حدودهم.

وبحسب مذكرة أرمنية (في السادس والعشرين من فبراير ١٩١٩م) في فيرزاليس، كما ذكرنا سابقاً، بعد معاهدة بريست ليتوفسك، فإن "الأرمن... استولوا على الدفاعات على جبهة القوقاز وإنهم... لسبعة أشهر، عملوا على تأخير تقدم الأتراك. وقد قدموا بهذا الشكل خدمات مهمة للجيش البريطاني في بلاد ما بين النهرين.. (عن طريق) مقاومتهم ضد الأتراك إلى أن تم التوصل إلى هدنة، حيث أجبروا الأتراك على إرسال قوات من فلسطين إلى الجبهة الأرمنية، وشاركوا بشكل غير مباشر في انتصار جيوش الحلفاء في سوريا. وقد كان الأرمن محاربين حقيقيين في الحرب، وقد تجاوزت خسائرهم الـ ١,٠٠٠,٠٠٠". فالرسالة الرسمية حول الأعمال العدائية الأرمنية واضحة جداً[١٤٧].

ويمكن تلخيص أهم النقاط على النحو التالي: إن الانتفاضة الأرمنية المسلحة بالقرب من الجبهة العثمانية الشرقية هي حقيقة واقعة: بناء على المصادر العثمانية والأرمنية، وقد تم ذلك بحيث أمكن وصف الأرمن بموجبها على أنهم "أعداء حقيقيون، منذ بداية الحرب". وقد أوضح هذه العدائية أكثر بعض الأرمن من المسؤولين في قيادات عليا عن العمليات العسكرية على عدد كبير من الجبهات، باعتبار أنها كانت حاسمة في كسب الحرب ككل. وهنالك أدلة وفيرة، في شكل اعترافات أرمنية، واعتراف بالجميل من جانب القيصر الروسي وضباطه، ومن قبل

(147) The Armenian Review, XXVII/ 3-107 (Autumn 1974), op. cit., pp. 231-232.

ملاحظات شخصيات عثمانية مرموقة، على أن العصابات الأرمنية، وبمساندة من الحكومة الروسية لها بالسلاح والمال، قد حاربت إلى جانب الجيوش الروسية. وقد تواصلت الأعمال المسلحة بين الأتراك والأرمن حتى بعد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م، وبعد تراجع معظم الجيوش الروسية. وتقر جميع الأطراف ذات الصلة أن القوات الأرمنية قررت البقاء على الأراضي العثمانية التي احتلها الروس سابقاً، واستخدمت سلاحها ضد السكان المسلمين المحليين الذين كانوا في كثير من الأحيان غير مسلحين.

وقد اندلعت حرب تقليدية سريعاً بين تلك القوات الأرمنية التي بقيت بعد القوات الروسية المنسحبة، وبين قوات الجيش التركي الخامس عشر بقيادة كاظم قرة بكر. وقد وقعت هذه المعارك في مختلف البلدات وفي المناطق الريفية التي كانت في مقاطعة أرضروم آنذاك، وتواصلت في أجزاء من القوقاز. وربما لم يكن كلا الطرفين يرغب في وقوع إصابات، لكنها كانت حتمية في ظل تلك الظروف؛ فقد كان الجنرال قرة بكر أول مسؤول تركي رفيع يسجل المذابح الكثيرة التي وقعت ضد المسلمين من قبل الأرمن المنهزمين[١٤٨]، وبصرف النظر عن حملات قرة بكر،

(١٤٨) إضافة إلى مذكرات الجنرال قرة بكر، المملوءة بالتقارير والصور، هنالك وثائق كثيرة أيضاً يصعب ذكرها هنا، في الأرشيفات التركية كأدلة على مذابح وغيرها من الأعمال الوحشية التي ارتكبها الأرمن. إلا أن التسجيل والاعتراف التالي للفريق البريطاني، أيه راولينسون، وهو شاهد في المعركة، قد تكون ذات صلة. إذ يقول: "... لقد واجهتنا كتيبة خيالة أرمنية... وعندما... أعلن الحلفاء أن مقاطعة قارص ستسلم للأرمن، فقد تجمعوا... واستولوا على البلدة نفسها.. وقد كانت الأحزاب الكردية تراقب المنطقة... وقد ابتدأ (زعيم القبيلة) بسؤالي... ماذا قصد الحلفاء بإعلامهم الأرمن أنه في المستقبل ستكون بلاده لهم. ... وقد تلقيت أيضاً شكاوى من كاظم باشا حول معاملة المسلمين على أيدي الأرمن. بعد ذلك تم سحب القوات البريطانية كافة، وبدأ الاحتلال الأرمني. من هنا بدأت كل المشكلات؛ لأن الأرمن بدأوا فوراً عمليات سرقة جماعية واضطهاد للسكان المسلمين بذريعة أنه كان من الضروري تجريدهم من سلاحهم بالقوة. وقد نهبت القوات الأرمنية ودمرت القرى المسلمة كافة... وقد أعلن (الضابط التركي) أنه وشعبه مستعدون للدفاع عن بلادهم وأرواحهم. وقد كان هذا كلاماً صادقاً فعلاً، توافق مع التقارير التي كنت أتلقاها من كاظم باشا".

Adventures in the Near East: 1918-1922, London and New York, Andrew Melrose, 1923, pp. 206-218.

كانت هنالك أيضاً اشتباكات بين جنود حكومة أنقرة، التي أُنشئت في الثالث والعشرين من أبريل ١٩٢٠م، وبين القوات الأرمنية. لكن حتى بعض الكتاب المناصرين للأرمن يوافق على أن إعداد القوات لشن هجوم على الأرمن لم يكن على جدول أعمال حكومة أنقرة(١٤٩).

ويجب أن نتذكر أيضاً أن جماعات أرمنية كبيرة نوعاً ما، متأثرة بطريقة أو بأخرى بالظروف الدموية للثورة الروسية، قد انحازت إلى طرف أو آخر في الاشتباكات وفي الحرب الأهلية التي اندلعت. فقد كان هنالك أرمن تبنوا الفكر البلشفي من ناحية، كما كان هنالك أرمن مناهضون للشيوعية من ناحية أخرى؛ إذ حملوا السلاح ضد بعضهم بعضاً، حيث قتلوا أعداءهم من الطبقات العليا، وقُتِلوا في المقابل من قبل إخوتهم. وقد كانت عداوتهم القائمة على أساس طبقي مؤثرة جداً إلى حد أن الأرمني سيمون فراتزيان طلب الدعم العسكري من حكومة أنقرة. وقد كانت رسالته بتاريخ الثامن عشر من مارس ١٩٢١م والموقعة منه كـ"رئيس للجمهورية الأرمنية"، قد طلبت ذخائر، وتساءلت عن "مدى وموعد" إرسال المساعدات التركية إلى أرمينيا. وتشير مختلف المصادر الأرمنية إلى هذا الطلب، الذي تُرِكَ دون رد. وقد كانت العداوة بين القوات الأرمنية المحافظة والجيوش البلشفية الثورية نتيجة هذا الانقسام الأيديولوجي داخل الأمة الأرمنية. ولم يكن قبول الأرمن للصيغة السوفيتية من الاشتراكية آمناً في البداية أو مستقراً فيما بعد؛ مما أدى في النهاية إلى انقسام أرمينيا (سنة ١٩٩١م)، مع غيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً.

كما كانت هنالك حروب تقليدية بين القوات الأرمنية نفسها، من ناحية، والجيران القوقاز لأرمينيا، أي الجورجيين والآذريين. فهذه الدول القومية الثلاث في جنوب القوقاز، التي واجهت صعوبة في اقتسام الأراضي بشكل يرضي الجميع، قد اشتبكت مع بعضها بعضاً كثيراً، وقد حدثت مواجهات عنيفة بين الأرمن والبقية، فعداواتها المتجددة، التي قادت إلى القتل والإبادة، مسجلة في التاريخ.

(149) Review by Thomas A. Bryson of James B. Gidney's **A Mandate for Armenia** (Kent, Ohio, The Kent State University Press, 1967) in: **The Armenian Review**, Vol. XXII, No. 4-88 (Winter 1970), p. 74.

ولا تزال أرمينيا تسيطر على ما يقارب ثلث الأراضي الآذرية سابقاً، التي احتلتها منذ انهيار النظم السوفيتية هناك. كما نفذ الأرمن في الماضي والحاضر سياسة إبادة ضد الأقلية الآذرية لديهم، التي يطلقون عليها اسم "التتار".

ولم تكن المشاركة القوية للأرمن في النزاع المسلح مقتصرة على الجبهة الشرقية، حيث القوقاز والصراع الأيديولوجي، على الرغم من أنهم سفكوا دماء كثيرة؛ بل إنهم، إضافة إلى ذلك، انضموا إلى القوات البريطانية في قبرص، وخططوا للتقدم من هناك إلى جبهتي سيناء وفلسطين للدخول في معارك مع الأتراك في المنطقة الدنيا من الشرق الأوسط أيضاً. كما تحالفوا مع الفرنسيين الذين يقاتلون الأتراك في أضنة وما حولها وفي أجزاء من الولايات العثمانية الجنوبية، وقدَّموا وحدات غير نظامية إلى الجيش اليوناني الذي نزل أراضي الأناضول في الخامس عشر من مايو ١٩١٩م، حيث بقي وقاتل هناك لثلاث سنوات، قبل أن يُطرد من هناك في التاسع من سبتمبر ١٩٢٢م.

وفي هذه الصراعات المسلحة كافة، سواء كانت في شكل هجمات إرهابية، أو حرب عصابات، أو قتل سري، أو كتائب نظامية في الحملات التقليدية أو حرب أهلية، فإن الأرمن أنفسهم قُتِلُوا كما كَبَّدوا أعداءهم خسائر. وبالإضافة إلى عدم ذكر جرائم الأرمن، فإن مختلف عناصر الدعاية أدخلت اختفاء الأرمن نتيجة موجات من الهجرة أو القتل في المعارك تحت العنوان العام الذي يدعى بـ"الإبادة الجماعية".

١٠- الأوبئة والخسائر

كانت السنوات التي امتدت بين عامي ١٩١٤ إلى ١٩٢٢م أيضاً فترة كان على جميع سكان آسيا الصغرى خلالها أن يعيشوا ـ أو يموتوا ـ في ظروف حرب غير صحية؛ بما في ذلك انتشار الأمراض والأوبئة. فمجرد الإشارة، ولاسيما في المصادر التركية، إلى الأزمات التي اشتملت على انتشار بكتيريا أو فيروسات قاتلة، أو حتى الانتشار الواسع للجوع والبؤس المحتمين خلال هذه السنوات الثماني المتتالية، فإنه يُرَدُّ عليها تقريباً على أنها دعاية كاملة، تهدف إلى تقليل الخسائر الفعلية في أرواح الأرمن. والحقيقة هي أن عدد السكان الأرمن ـ والمسلمين كذلك ـ قد انخفض سنة ١٩١٥م وفي السنوات اللاحقة نتيجة أسباب كثيرة. فإذا كان أحد

أسباب الخسائر الأرمنية يعود إلى الهجرة الخارجية الطوعية أو القسرية، أو إلى هجمات الآخرين على بعض منهم، وليس كلهم، أو إلى قوافل الأشخاص المتجهين منهم إلى الجنوب؛ إلا أن أسباباً أخرى قاتلة معروفة جلبتها عشر حروب أو ما يوازيها، وكذلك الظروف العامة للحرب، لا تزال تحتل مكاناً فريداً بين الأسباب التي أدت إلى الموت، كما أن الأوبئة التي أخذت ضحاياها من كثير من المسلمين أو الأتراك أيضاً، لم تفرق بين العرق والدين لضحاياها.

وإن ما يتجاهله بعض المراقبين كمعلومات مزيفة أو محاولة للتشويش على الحكم السديد كان جزءاً لا مفر منه في الحروب كافة. فاعتبار الأطراف في قصة درامية بهذا الحجم أمر أساسي للتحليل الموضوعي، ومن المنطق السليم القول إنه في القرون الماضية، هلك عدد أكبر من الناس ـ بمن فيهم جنود ـ نتيجة الأمراض مقارنة بمن هلك على يد الأعداء خلال الحروب. وإن غياب أبسط الوسائل لمكافحة الأوبئة، بالترافق مع عدة عوامل مثل الزلازل والأغذية غير الصحية، قد أدى إلى موت عدد كبير من الجنود والمدنيين من الأمراض المعدية. وما يُقبل على أنه حقيقة، لا يمكن أن يُستبعد في حالات أخرى على أنه وسيلة للخداع، لمجرد أن وجهات النظر التركية تتصل بالموضوع. وعلى مر الزمن، وجدت بعض المجتمعات الأوروبية المتطورة بعض العلاجات تدريجياً، مثل الأدوية المتطورة، وزيادة الأطباء، والممرضات، والمشافي المتنقلة والإمداد الميداني الأفضل، وذلك من أجل تقليل النتائج المأساوية للحروب؛ لكنها هي نفسها ليست محصنة، حتى اليوم، من تأثيراتها. فما كان يصدق على الآخرين كان صحيحاً، وبشكل أكبر فعلاً، على المشهد العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، وقد عانى الأتراك والأرمن معاً نتيجة ذلك....

وتكفي البيانات المتوافرة لإقناعنا بأن عدد الجنود الذين ماتوا بسبب المرض في الجيوش التي شاركت في حروب القرن السابع عشر كان ضعف العدد الذي قُتل في المعارك، حيث وصل ذلك العدد إلى ٢,٢ مليون رجل مسلح. وقد بدا أن الوفيات نتيجة المرض كانت أعلى في القرن الثامن عشر، ولاسيما خلال حروب نابليون، حيث وصل العدد إلى ٢,٢٥٠,٠٠٠ إصابة. وحتى خلال حروب القرن التاسع عشر، فإن عدد من قُتِلَ بسبب الجراثيم والفيروسات فاق عدد من رُمي بالرصاص أو

طُعن: فقد قُتلت الجيوش المحاربة بفعل التيفوس في حروب كريميان بين الأعوام ١٨٥٤-١٨٥٦م، وبالجدري في الحرب الفرنسية-الروسية بين عامي ١٨٧٠-١٨٧١م، كما كانت الإصابات الإيطالية من المرض في ليبيا سنة ١٩١١م تساوي أكثر من ضعف من قُتلوا في المعركة. وقد كلف احتلال البوسنة من قبل الجيش الروسي وفيات أكثر نتيجة المرض مقارنة بمن قُتلوا في ميدان المعركة. وقد كانت نسبة الإصابات في الجيش البريطاني خلال حرب الإنجليز والبوير مماثلة إلى حد بعيد. وفي الحرب الأهلية الأمريكية، فقد الشمال رجالاً نتيجة المرض أكثر من خسارته نتيجة العمليات العسكرية، وبالمثل، خسر الإسبان رجالاً أكثر نتيجة المرض خلال حملتهم على المغرب. كما أن خسارة البريطانيين نتيجة المرض في الحرب مع إسبانيا في السنوات ١٨١١-١٨١٤م كانت أكبر بثلاث مرات من الخسائر نتيجة الحرب. وقد خسر البريطانيون والفرنسيون في حرب كريميان، والروس في حربهم مع تركيا سنة ١٨٧٧-١٨٧٨م، والفرنسيون خلال حملة تونكينغ أرواحاً نتيجة المرض أكثر من خسارتهم في الحرب. كما كانت خسائر الأمريكيين في حرب ١٨٩٨م مع إسبانيا أكثر بست مرات نتيجة المرض مقارنة بالعمليات العسكرية.

وقد كانت الظروف أفضل بالنسبة إلى الشعوب الغربية المتقدمة عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى. فقد مكنتهم الإجراءات الوقائية والإسعافات الطبية من السيطرة على الأوبئة؛ فاللقاحات الجماعية ضد الكوليرا والتيفوس والتيتانوس وعزل المرضى المصابين بالأمراض المعدية، وإنشاء كثير من المرافق الطبية، وإدخال كثير من إجراءات النظافة وتحسن النقل بشكل كبير، عملت كلها على التقليل من الوفيات بسبب المرض. ولم يكن كثير من هذه الإجراءات وقائياً فحسب؛ بل إن بعض الخطوات أيضاً مثل استعمال العربات ذات المحرك قد عمل على منع تكتل البشر الذين يمكن أن تنتشر بينهم الأوبئة.

ومع ذلك، في إحصاءات المجهود العسكري للإمبراطورية البريطانية Statistics of the Military Effort of the British Empire فإن الجيش البريطاني خسر ١٠٨,٠٠٠ جندي بسبب المرض وحده. وقد كانت للساحة الفرنسية الحصة الأكبر (٥٩,٤٠٠). وتم تسجيل العدد الأكبر من الوفيات نتيجة المرض في بلاد ما بين

النهرين (٢٣,٦٠٠)، وهي حقيقة يمكن نسبتها إلى الأوبئة بين القوات العاملة هناك. كما أضيفت ١٢,٠٠٠ إصابة في البحرية البريطانية ليصبح العدد الإجمالي للخسائر ١٢٠,٠٠٠، حيث إن خُمسَ هذا الرقم كان من الهنود الخاضعين للاستعمار. كما توفي ١٧٥,٠٠٠ جندي من المرض في الجيش الفرنسي و ٤,٠٠٠ في البحرية، والسبب الرئيس كان الإنفلونزا الإسبانية. وبحسب نشرات الدائرة الصحية في جيش الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى، فإن ٦٠,٨٠٠ جندي وبحار أمريكي ماتوا بسبب المرض، وفي إيطاليا، كان هنالك ما مجمله ٨٥,٠٠٠، وفي رومانيا ٣٠,٠٠٠، وفي سيبيريا والجبل الأسود ٥٠,٠٠٠ رجل ماتوا بنفس الطريقة. وقد خسر الجيش الروسي، الذي واجه العثمانيين على الجبهة الشرقية، ٢٩٥,٠٠٠ رجل نتيجة المرض والجروح طوال سير المعارك.

وبحسب Wirtschaft und Statistik، التي نُشرت سنة ١٩٢٣م، فإن الجيش الألماني، وحليفه العثماني، خسرا ١٨٨,٠٠٠ رجل نتيجة المرض والحوادث والانتحار والقتل. وإذا ما تم استبعاد الأسباب الثلاثة الأخيرة، يكون لدينا ما مجموعه ١٦٦,٠٠٠ ماتوا نتيجة أمراض مختلفة. وتفيدنا النشرات الرسمية الألمانية أن القاتل الحقيقي كان مرض ذات الرئة (٢٧,٠٠٠)، يأتي بعده السل (٢٠,٠٠٠)، والأنفلونزا (١٤,٠٠٠) والتيفوس (١١,٠٠٠). وفي الجيش النمساوي-الهنغاري، وهو حليف آخر للعثمانيين، مات ٣٠٠,٠٠٠ رجل نتيجة الأمراض والجروح. وقد أخذ السل النصيب الأوفى (٤٣,٠٠٠)، لتأتي بعده حمى التيفوئيد (٢٤,٠٠٠)، والكوليرا (١٦,٠٠٠)، والدوسنتاريا (١١,٠٠٠) والملاريا (٣,٠٠٠). وقد مات ٢٤,٠٠٠ رجل بسبب المرض في الجيش البلغاري، وهو حليف آخر للعثمانيين.

لقد كانت خسائر الجيش العثماني في الحرب ضخمة، وقد وصل عدد الموتى نتيجة المرض إلى أرقام لم يُسمع بها في حروب القرن العشرين. وقد وجد الجنرال الألماني ليمان فون ساندرز، الذي عمل مفتشاً عاماً لدى الجيوش العثمانية، أن الجنود العثمانيين، الذين كان بعضهم في الواقع حافي القدمين، كانوا في وضع بائس[١٥٠]،

(150) **Five Years in Turkey**, Annapolis, Maryland, United States Naval Institute, 1927, p. 9. German original: **Funf Jahre in Türkei**, Berlin, 1920.

وبحسب الدكتور سي دي أشر، وهو طبيب أمريكي في "وان"، فإن"الجندي التركي لم يكن محمياً من الحر أو البرد، ولا من المرض"[(١٥١)]. وقد كانت تركيا الدولة الوحيدة التي تجاوزت فيها الخسائر بسبب الأمراض خسائر المعارك، كما كان الحال قبل سنة ١٩٠٠م. وقد مات من الجيش التركي ثلث عدد الجنود والضباط بسبب المرض في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م. ولم يدخل سوى أقل من ٤٧ بالمائة من مجمل القوات المحمولة المستشفيات خلال تلك السنوات الأربع. وقد سجل ١,١٧٥,٠٠٠ من بين ٢,٥ مليون جندي تركي أنهم دخلوا مستشفيات عسكرية ومدنية وعيادات. وهذا هو إجمالي عدد أولئك الرجال الذين كانوا قادرين على الوصول إلى مركز صحي. وقد كان تنظيم المستشفيات غير كاف، حيث كان فيها عدد قليل جداً من الأطباء يحاولون التعامل مع جيش كبير، وكان لباس الجنود سيئاً ولم يحصلوا على طعام كاف. وقد انتشرت الأوبئة، ولم تقتصر على عناصر الجيش التركي فحسب، بل أصابت المدنيين أتراكاً وأرمن. وقد احتلت الملاريا المقام الأول في التسبب بعدد الوفيات، لتأتي بعدها الدوسنتاريا، والحمى والتيفوئيد والكوليرا والسل وما إلى ذلك.

وتتجاوز الإصابات بين الأتراك والأرمن الأرقام التي تتقبلها الأطراف المعنية فيما يتعلق بالأرمن؛ فحتى حافظ حقي باشا (قائد الجبهة التركية الشرقية، الذي صادف أن يكون زوج ابنة السلطان العثماني)، والجنرال الألماني كولمار فون دير غولز (قائد الجيش العثماني في العراق) والسير فريدريك مود (قائد القوات البريطانية في العراق) ماتوا بالكوليرا أو التيفوس. ولم يكن بالإمكان إنقاذ بعض كبار القادة في ذلك الحين؛ فلم تتمكن المرافق الطبية التركية من عمل أي شيء، حتى بالنسبة إلى زوج ابنة السلطان.

كما حدثت وفيات نتيجة الظروف الجوية السيئة؛ فقد تجمد عشرات آلاف الجنود الأتراك حتى الموت في الجبال الثلجية في صاري قاميش خلال ليلة أو ليلتين. فمثلما لم يكن الأرمن محصنين من الأمراض المعدية والأوبئة، فإن البرد

(151) Clarence D. Ussher and Grace H. Knapp, **An American Physician in Turkey**, Boston, Houghton Mifflin Co., 1917, p. 227.

الشتوي القطبي، المعروف في شمال شرقي الأناضول، قد حصد أرواح الجميع، بغض النظر عن الجنسية. وتشير بعض المصادر إلى أن الأرمن يعرفون هذه الحقائق تماماً؛ فعلى سبيل المثال، هنالك كتاب أرمني نُشر في سنوات الحرب، يعترف بنزاهة أن الشعب "أصيب بالأمراض في الخنادق"[١٥٢]. وقد كان الأرمن قد رفضوا في ذلك الحين، بحسب المصدر نفسه، أن يمنحوا صفوت بيه حاكم "وان" ٣,٠٠٠ جندي كان قد طلبهم، وكان أحد الأسباب خشيتهم من أن يموتوا من الأوبئة. والإشارة في عنوان الكتاب المعني (وهو "الدفاع البطولي عن وان")، تتعلق بالمحاولة الناجحة للأرمن، كمواطنين عثمانيين، في احتلال بلدة استراتيجية وتسليمها للسيطرة المشتركة مع القوات الروسية الغازية.

وقد كان لا مفر من إمكان تأثر الشعب بأكمله بالظروف العامة للحرب، والأمراض السارية والجو السيئ في الشرق. وقد تم تقديم بعض الإغاثة، لكن للأرمن فقط، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تقويم النوايا التركية. فلم يكن سوى وزير الداخلية العثماني طلعت باشا من سمح للبعثات الأمريكية بتقديم إعانات للأرمن، على الرغم من أن الدولتين - مع أنهما لم تقاتلا بعضهما في المعركة - كانتا في معسكرين متناحرين خلال الحرب. وربما لا يوجد في التاريخ مثال آخر على دولة محاربة تسمح لمواطني دولة أخرى ذات سيادة، تنتمي إلى معسكر مخالف، بالبقاء على أراضيها لتطعم وتُدَرِّس أقلية تُتَّهَمُ الدولة المحاربة بأنها تقوم بإبادتها. ولقد ساعدت هذه الخطوة وحدها على إنقاذ آلاف الأرمن، فقد كانت هنالك مجاعة قُتل فيها كثير من الأتراك. وربما تُعدُّ هذه الحكاية تعبيراً عن النوايا الحسنة؛ إلا أن إطار العمليات كان يفيد أن الأتراك كانوا يتضورون جوعاً بينما الأرمن كانوا يحصلون على الغذاء من عمال الإغاثة الأمريكيين، كما جمعوا المال نتيجة الدعاية المناهضة للأتراك.

١١- المحاكم والأحكام والعدالة

إن هدنة مودروس، التي أصبحت سارية في الحادي والثلاثين من أكتوبر ١٩١٨م، بعد بضعة أسابيع من التأخير، منحت البريطانيين الفرصة لاحتلال الموصل وحلب، كما سهلت استسلام العثمانيين غير المشروط، وفتحت الموانئ لسفن

(152) La Défense héroique de Van, op. cit., p. 4.

الحلفاء، ووضعت البلاد في قبضتهم، وتم فوراً تحرير سجناء الحلفاء والأرمن كافة من السجون العثمانية، بغض النظر عن الجرائم التي كانوا قد ارتكبوها. وقد منح انتهاء الحرب بتحقيق النصر للحلفاء الطرف الأخير والأرمن الفرصة لمحاكمة القادة الأتراك السابقين. وقد أُنشئت محاكم عسكرية خاصة لمحاكمة أفعال وأخطاء موظفي حزب الاتحاد والترقي كافة؛ إذ حُمِّلَ الأخير المسؤولية، ليس عن كل عواقب تهجير الأرمن فحسب؛ بل أيضاً عن دخول بلاده الحرب العالمية الأولى، وتشكيل ما يُعرف بالمنظمة الخاصة، وانتهاك الأمن ونشر السوق السوداء. وأشار الأرمن إلى قرارات هذه المحاكم كأدلة تساند ادعاءاتهم بوجود "إبادة جماعية".

وفي الحقيقة فإنه لا تشكيل مثل هذه المحاكم ولا أحكامها يشهدان على جريمة تُعرف بالإبادة الجماعية. ومن الضروري أن نتذكر عوامل مثل احتلال العاصمة العثمانية، ودرجة مشروعية إنشاء وعمل هذه المحاكم، إضافة إلى الضغط الخارجي على الآلية القضائية من قبل المنافسين السياسيين لحزب الاتحاد والترقي، وكذلك من قبل الناطقين باسم القوى المنتصرة[١٥٣].

ولن يكون من الظلم تأكيد أن السلطات العثمانية بقيادة السلطان وحيد الدين، قد تحركت بفعل الحاجة إلى حماية المنتصرين ومعاقبة الحكومة السابقة، التي هرب كبار قادتها، نتيجة اتخاذهم عدداً من القرارات السيئة، والسياسات الكارثية، والأعمال الفاسدة، إضافة إلى التعامل غير المرضي مع القضية الأرمنية. فقد كانت

(١٥٣) يوجد ـ حتى في تركيا ـ عدد قليل من الأعمال العلمية حول المحاكمات العسكرية الخاصة. فهنالك رسالة دكتوراه منذ عهد قريب (١٩٩٦م) كتبها عثمان كوكسال، قدمت إلى معهد العلوم الاجتماعية في جامعة أنقرة، تدرس هذه المحاكمات منذ سنة ١٨٧٧م، لذا فإن الجزء الأخير فقط من هذه الدراسة يتعلق بالفترة بين ١٩١٩-٢٢م. كما أن عثمان مؤلف لمقالة قصيرة (ص.ص ٧٩٥-٨٠٣) في العدد الثالث عشر من **Türkler** (٢٠٠٢م)، حيث يعالج بالتحديد إدارة المحاكم العسكرية خلال السنوات الأخيرة من الدولة العثمانية. أما العمل الأكاديمي الحديث والشامل والمتوازن والموثوق فهو: Ferudun Ata, **Isgâl Istanbul'unda Tehcir Yargilamalari** (The Migration Trials in Occupied Istanbul), Ankara, TurkTarih Kurumu, 2005. كما توجد مذكرات تسلط الضوء على الجوانب غير المعروفة حتى اليوم من الموضوع نفسه. وتشير بعض المؤلفات إلى قضية أو أخرى لشخص متهم أو مدان، وإلى أعمال مهمة سوف أقدم عنها ملاحظات في المكان المناسب.

هذه رغبة لا تقاوم لدى المحتلين، والأرمن في الشتات والمحليين، ودوائر الحكومة العثمانية الجديدة، وحزب الحرية والاتحاد، حيث كان الأخير حزباً سياسياً غير تصالحي مع الإدارة السابقة.

إن التهجير القسري لمعظم الأرمن، ولاسيما تفاصيل ترك الممتلكات غير المنقولة وراءهم، قد كان، وقبل ذلك، موضوع تحقيق رسمي. فقد قامت لجان خاصة، شُكِّلت في الثاني من سبتمبر ١٩١٥م، وفي الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩١٦م، من قبل ممثلي مجلس الدولة، ومحكمة الاستئناف ومحكمة الجنايات الكبرى، بزيارة مختلف مناطق الأناضول لتبحث وتجمع المعلومات وتعد التقارير. وقد حدد المدعي سامي بيه الذي خاطب المحكمة التي تولت النظر في قضية هجرة يوزغات، أن كثيراً من أحكام الإدانة، بما فيها ٦٧ عقوبة إعدام قد نُفِّذَت خلال الحرب. وقد كان عدد الأشخاص المدانين في ذلك الحين قد وصل إلى ٦٥٤ شخصاً(١٥٤) بمن فيهم ١٩ مسؤولاً ومواطناً من ولاية سيفاس، و٢٨ شخصية رسمية، و١١ ضابطَ درك، و٦٩ رجل درك متطوعاً، و١١١ مواطناً عادياً من معمورة العزيز (إليزايغ)؛ و٦٩ من ديار بكر؛ و٢٥ من بتليس، و١٦ من إزمير، و٢٩ من ناليهان. وإلى جانب الحكومة في أثناء الحرب، عمل الحزب السياسي الحاكم على معاقبة بعض المجرمين كشرط أمام من يلتحق بعضويته، وقد طُرِدَ بعض الأفراد من حزب الاتحاد والترقي لارتكابهم أفعالاً مثل "شراء مساكن أرمنية بسعر زهيد" أو ارتكاب "عمل مخالف للسلوك الحسن".

وكانت المحاكم العرفية قد فتحت آفاقاً جديدة ولم تكن استمراراً للتحقيقات زمن الحرب، وكانت الخطوة التمهيدية تشكيل لجان تحقيق، ضمت أفراداً غير

(١٥٤) فبينما يقتبس أف عطا رقم سامي بيه ٣٧٧ (في الصفحة ٦٣)، فإن كاموران غورتين يقدم ١.٣٩٧ كمجمل نهائي لعدد الأتراك الذين حوكموا في المحاكم التركية.

Ermeni Dosyasi, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1983, p. 222.

للمراجع حول تحقيقات ١٩١٥-١٦م والأحكام في عدد من المصادر التركية، انظر: عطا ٢٠٣، أما تقدير البروفسور هالاغوغلوس لمجمل المتهمين فهو ١.٦٧٣، حيث شنق ٦٧، وسجن ٥٢٤، ووضع ٦٣ في الحجز الانفرادي.

مسلمين، مع تفويض بإعداد قوائم اتهام. وقد تلقى هؤلاء المحققون عدداً من الطلبات والرسائل والبيانات ولاسيما من الأرمن، وقد كان عدد قليل منها يتألف من مبالغات أحادية الجانب وأكاذيب، كان دافعها الشعور بالانتقام، لكنها، مع ذلك، استُخدمت في المحاكم التي شُكِّلت لاحقاً. وقد حضر أمام لجان التحقيق بعض الشهود الكاذبين أكثر من مرة وتحت أسماء مختلفة. وقد طالبت الالتماسات، التي كان أولها بتاريخ الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩١٨م، ومن الواضح أنها كُتبت من قبل أتراك، طالبت بإعداد قوائم بالأرمن الذين قَتَلُوا عشرات الآلاف من المسلمين العثمانيين. وبينما رجحت كفة الطلبات الأرمنية لدى المحاكم، إلا أنه لم تتم محاكمة أي أرمني لسفكه دم تركي أو مسلم آخر. ولم يُطَبَّق هذا في حالات القتل الفردي أو الجماعي فقط؛ بل على جرائم مثل الاعتداء والجرح والتدمير والسرقة والاغتصاب؛ التي ارتُكبت جميعها بلا رحمة، وبشكل متكرر، وفي العادة بشكل منظم. إن هذا الانحياز، في بعض الأحيان، حَيَّرَ حتى أشد معارضي الحكام الأتراك ودفعهم إلى المطالبة بالتوازن، لكن دون جدوى. فقادة العصابات والفرق الأرمنية المسلحة، التي نفذت كثيراً من الأعمال الدموية ضد أعدائها، تجولوا بحرية في شوارع اسطنبول، بينما في بعض الحالات كان الموظفون الأتراك، الذين لم تكن لهم علاقة بأي وضع غير شرعي قد أُرسلوا إلى المشانق.

وهكذا فإن المحاكم العرفية حاكمت وأدانت الأتراك؛ الأتراك فقط، بمن فيهم من الأبرياء. وقد كانت تحيط بمبنى المحكمة قوات محتلة. وقد حثت قوات الحلفاء هذه المحاكم على التوصل إلى قرارات سريعة، وكان ثلاثة أعضاء غير مسلمين في أول محكمة مؤلفة من سبعة أعضاء في اسطنبول، والتي تأسست بقرار (في الرابع عشر من ديسمبر ١٩١٨م) من مجلس وزراء الدولة العثمانية. كما أنشئت ست محاكم أخرى (في الثامن من يناير ١٩١٩م) في بعض بلدات الأناضول[١٥٥]، ومع ذلك كانت أكثر المحاكم فاعلية في العاصمة، وأول من اعتُقل كان حاكم ديار بكر (رشيد)، وكان عدد من أُخذوا إلى الحجز ١٣٠ شخصاً وذلك في بداية ١٩١٩م،

(155) Izmir, Bursa, Tekfurdagi, Edirne, Samsun, Antep. Two more (Van, Beyazit) were later added, and some abolished.

و٣٢١ شخصاً في نهاية العام نفسه[١٥٦]، وقد أودعوا جميعهم في مقرات شركة بكر آغا الشهيرة. وقد هرب أحد السجناء (الدكتور رشيد) من السجن لكنه انتحر فيما بعد.

وفي هذه الأثناء، تلاقت المصالح البريطانية مع ما يريد السلطان العثماني، وقد أُغلق البرلمان العثماني (في الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩١٨م). وبينما وقع مزيد من الاعتقالات، حَلَّ شخص غير مسلم (يوسف فرانكو باشا) محل وزير الخارجية العثماني المسلم (مصطفى رشيد باشا)، وذلك بناء على رغبة قائد الاحتلال الفرنسي الجنرال دايسبري. وقد تم بكل بساطة طرد البيروقراطيين الذين لم يكن بالإمكان توجيه تهمة إليهم على أي عمل غير قانوني، وذلك لأنهم كانوا ينتمون سابقاً إلى حزب الاتحاد والترقي. وقد اعتقل البعض وسُجنوا بناء على معلومات غير صحيحة، وأمضى بعضهم سنة أو أكثر في السجن دون أي اتهام. وقد توقعت الإدارة العثمانية، ولاسيما حكومة داماد (زوج ابنة السلطان) فريد باشا[١٥٧]، أن تحوز امتنان الأجانب من طريق التوافق مع سياسات المنتصرين. فمثلاً، كان فريد باشا يؤيد إعدام كمال بيك، نائب حاكم بوغازليان، ومع أنه كان يأمل تحقيق مكاسب سياسية نتيجة هذا الإعدام، إلا أنه تم احتلال مدينة إزمير من قبل الجيش اليوناني، بدعم من البريطانيين، خلال شهر تقريباً من صدور القرار الخلافي بشنق البيروقراطي العثماني الرفيع المستوى.

وقد اعتاد البريطانيون أن يقدموا إلى السلطات العثمانية قائمة بأسماء أولئك الذين أرادوا التنكيل بهم. فبعضهم مثل صفوت بيك، المتهم بإساءة معاملة سجين بريطاني في أثناء الحرب، قد ذُكِرَ بشأنه في المحكمة أن تقريراً طبياً موثوقاً أثبت

(١٥٦) يقتبس مدير مجمع التاريخ التركي إجمالي الرقم الكلي لهؤلاء الأتراك الذين اعتقلوا سنة ١٩١٩م على أنه ١.٢٩٧ وقد أدين ستة عشر منهم (بعد سنة ١٩١٩م)، بمن فيهم ثلاثة حكموا بعقوبة الإعدام.

Yusuf Halacoglu, "Atalarimiz Canavar Gibi Gösterilemez," **Radikal**, 13 Subat 2006, p. 8.

(١٥٧) رسالة دكتوراه غير منشورة قُدمت إلى معهد الدراسات التركية في جامعة مرمرة في اسطنبول: Can Erdem, "Sadrazam Damat Ferit Pasa," Istanbul, 2002.

أن الشخص المعني قد توفي بسبب التيفوس. وقد قدم أرمن (ويونان)، لم يكونوا قد غادروا اسطنبول يوماً، أنفسهم كشهود في أحداث يُفترض أن تكون قد وقعت في شرقي الأناضول. وقد تبنى بعضهم موقفه بعد تلقيه رشوة، وبعضهم الآخر قدم قصصاً ملفقة عندما رفض المتهم الابتزاز على ما يبدو. لكن المحاكم وجدت أنه لا بديل أمامها سوى تصديق هذه القصص. وقد كان يكثر في المحاكم وجود أعضاء أرمن ويونان (على سبيل المثال أرتين بوزجزيريان، وميزاك موغاريان، وهارالومبوس، وديميتراطي)، وكان الأعضاء المسلمون كثيراً ما يسجلون اعتراضاتهم على التدخل الخارجي والانحياز الواضح. وقد أصرت بعض الإجراءات القانونية على أنه يمكن محاكمة بعض الشخصيات الرفيعة فقط في المحكمة العليا وليس في محاكم عرفية عادية؛ فقد أمر رئيس الوزراء فريد باشا، الذي كثيراً ما كان يقول للسلطات المحتلة إن إيمانه ببريطانيا يأتي بعد إيمانه بالله، باعتقالات جديدة؛ حيث وافق على قوائم أسماء جديدة قُدِّمَتْ للمحاكمة مباشرة من مكتب المندوب السامي البريطاني.

وفي الثامن والعشرين من مايو ١٩١٩م، لم يمنع أحد مجموعة من ضباط الأمن البريطاني من الذهاب إلى مقرات بكر آغا وسحب ٦٧ سجيناً ممن كانوا محتجزين هناك، ونفيهم إلى مستعمرة مالطا. وقد وصل عدد القادة السياسيين والعسكريين والمفكرين المسجونين في نهاية الأمر إلى ١٤٤ شخصاً. وعلى الرغم من استعداد العثمانيين لتلبية المطالب البريطانية كافة: إلا أن الطرف الأخير لم يزل يرى في عمل المحاكم أنه بيروقراطي جداً ويستنزف وقتاً؛ فقد أراد المحتلون تولي الأمر بأيديهم مباشرة لتحقيق نتائج سريعة. وقد كان الحلفاء يسيطرون على جميع المرافق المهمة، بما فيها الأرشيفات التركية؛ لكن لا توجد أية أدلة في الأرشيفات تؤيد إدانة هذه المجموعة من الشخصيات. كما أن البحث في أرشيفات الحكومة الأمريكية أيضاً لم يؤد إلى التوصل إلى أدلة مفيدة، كما يمكن للمرء القول إن خطاباً رسمياً من السفارة البريطانية في واشنطن دي سي إلى اللورد كورزن بتاريخ الثالث عشر من يوليو ١٩٢١م ذكر أنه "لا توجد حقائق ملموسة... يمكن أن تشكل دليل إدانة كافياً ضد الأتراك في مالطا"[١٥٨]. وقد توصل محامو التاج الملكي في لندن في التاسع

(158) Great Britain, Foreign Office, 371/6504/8519.

والعشرين من يوليو ١٩٢١م إلى أن "التهم الموجهة ضد الأشخاص الواردة أسماؤهم في قائمة وزارة الخارجية... (كانوا) شخصيات غير سياسية..."(١٥٩)، وقد تم إطلاق سراح هؤلاء السجناء سنة ١٩٢١م دون تهم أو محاكمة. ومع أن عدة أوراق بريطانية أشارت، فيما بعد، إلى "وثائق" معينة يُزعم أنها تثبت تآمر الحكومة العثمانية، فقد تبين أنها مزيفة وتمت تنحيتها جانباً؛ إلا أن البريطانيين واصلوا اعتقال ومحاكمة وأخذ أي مواطن عثماني حسبما أرادوا، وكان حاكم سيواس السابق (كمال) من بينهم، وقد طلبوا بشكل مباشر من رئيس الوزراء نفسه أن يختاروا بأنفسهم قائد شرطة اسطنبول (خليل، بدلا من نور الدين بيه).

وقد تولت محكمة اسطنبول قضايا التهجير الخاصة بيوزغات، وطرابزون، وبيوك دره، ومعمورة العزيز، كما حاكمت قادة الاتحاد والترقي أيضاً. وقد كان إعدام نائب الحاكم كمال بيك أهم قرار في قضية يوزغات (بين الخامس من فبراير والتاسع من أبريل ١٩١٩م). وكان هذا الشخص قد حوكم وبُرِّئت ساحته من قبل محكمة استئناف يوزغات، وبالاحتجاج بأن الأرمن الذين شهدوا ضده كانوا شهود زور، فقد قال كمال بيك إنه "ليس مذنباً" لكنه شُنق على الرغم من ذلك(١٦٠)، وقد

(159) Great Britain, Foreign Office, 371/6540/E8745. Also: Bilâl N. Simsir, **The Deportees of Malta and the Armenian Allegations**, Ankara, Ministry of Foreign Affairs, 2003.

(160) Nejdet Bilgi, **Ermeni Tehciri ve Bogazliyan Kaymakami Mehmed Kemal Bey'in Yargilanmasi**, Ankara, Köksav Yayinlari, 1999.

اتهمت امرأة أرمنية اسمها (أوجيني فافاريان) كمال بيك بسرقة المال وألقت عليه بمسؤولية جرح في يدها، لكن المتهم رفض اتهامات السرقة باعتبار أنها "هراء"، وقد أثبت الفحص الطبي أن أثر الجرح في يدها كان بفعل جرح وقع منذ زمن. وقال شاهد أرمني آخر (آرتين، ابن أغوب) في إحدى المرات إنه كان في الثانية عشرة من العمر، وفي مرة أخرى قال إنه كان في السابعة عشرة، وقد قال إنه هرب وهو مصاب بجرح فقط "وذلك برحمة من الله"، بينما قُتل الباقون. وأثار أرمني آخر (سركيس، ابن ميغيرديك) شكوك المستمعين بشرحه الدقيق للأوقات والأماكن الخاصة بأحداث وقعت منذ زمن. وفي قضية متهم آخر، فإن امرأة أرمنية أخرى (أليس)، وهي ليست شاهد عيان، قدمت شرحاً على أساس ما قيل لها. وقد طلب الشاهد فاهان رشوة من المتهم، وألقي القبض عليه ومعه الأوراق المالية التي كانت الشرطة قد دونت أرقامها مسبقاً.

انتهت قضية طرابزون (بين السادس والعشرين من مارس- والثامن والعشرين من مايو ١٩١٩م) بحكم إعدام واحد (كمال عزمي)[١٦١]، بينما صدر حكم على آخر بالسجن عشر سنوات. وفي قضية بيوك دره (بين الثالث والعشرين من أبريل- والرابع والعشرين من مايو ١٩١٩م)، سُجن منهم لسنة وآخر لسنتين لتهربهما من الخدمة وفيما يتعلق بسرقة الممتلكات الأرمنية. وفي قضية معمورة العزيز (بين الثلاثين من يوليو ١٩١٩م- والثالث عشر من يناير ١٩٢٠م)، فإن امرأة أرمنية (مرغريت) وشاهداً آخر (كاسيار)، لم يكونا في خربوط حين وقوع الترحيل، قَدَّمَا شرحاً وكأنهما شاهدا عيان. ومن ناحية أخرى، فإن رسالة موجهة بالنيابة عن أرمن خربوط إلى المحكمة، وطلباً مقدماً إلى البطريركية الأرمنية يقولان بشكل منهجي إن أحد المتهمين (فريد) لا علاقة له بأية جريمة في منطقتهم. وقد صدر حكم بالإعدام على بهاء الدين ساهر، وحصل رزنيلي ناظم على حكم بالسجن خمسة عشر عاماً.

وقد زادت التغيرات الكبيرة في إجراءات المحاكم من الشكوك في أن المحاكم كانت تتجه نحو مزيد من الانحياز؛ إذ تم في بادئ الأمر التخلص من هيئات التحقيق، كما أُعلن عن إبطال عمل المدعين، كما أُلغي حق الاستئناف، ومُنع العامة من حضور المحاكمات. وفي نهاية المطاف، مُنع المتهمون من توكيل محامين. وقد تم إنشاء ثلاث محاكم عرفية لتسريع العملية القضائية، بدلاً من محكمة واحدة. وفي ظل تلك الظروف، ليس من الغريب أن نائب حاكم زور (زكي) حكم عليه بالإعدام. كما أن تفاصيل قضية أرزينكان، التي أقيمت لإعدام نائب حاكم أورفة السابق (نصرت)، لا تزال غير معروفة. وعلى أنه كان هنالك حكمان، فإن القاضي رئيس المحكمة (نمرود مصطفي باشا)، الذي أصر على عقوبة الإعدام منذ البداية، حقق ما أراد في نهاية المطاف، لكنه أدين هو نفسه فيما بعد (في التاسع عشر من ديسمبر ١٩٢٠م) لتهربه من الواجب.

وقد امتلأ سجن بولوك آغا بمئات الأشخاص الذين اعتُقلوا على أساس كاذب

(١٦١) كان كمال عزمي في ذلك الحين فاراً حيث تم اغتياله في نهاية المطاف (السابع عشر من أبريل سنة ١٩٢٢م) من قبل اثنين من الأرمن.

ولم توجه إليهم تهم رسمية، حيث بقوا هنالك أشهراً طوالاً، وقد أصيب بعضهم (مثل كمال أوغوز) بانهيار عصبي وحاول الانتحار، وكثير منهم (مثل المتهم محمد توفيق قائد كتيبة يوزغات) اقتنع أن الأحكام كانت تصفيات سياسية. وقد كان تأثير القوات المحتلة قد تعاظم إلى حد قيام قواتهم بمهاجمة البرلمان العثماني في السادس عشر من مارس ١٩٢٠م وإغلاقه للمرة الثانية.

وقد شدت محاكمة قادة حزب الاتحاد والترقي انتباه الشعب التركي، وكذلك قوى الحلفاء (بين السابع والعشرين من أبريل- إلى الخامس من يوليو ١٩١٩م)؛ فالقادة الثلاثة الكبار (طلعت، وأنور، وكمال باشا)، وكذلك الدكتور ناظم، كانوا قد هربوا، بينما اعتقل البريطانيون بعض القادة الآخرين ونفوهم إلى مالطا. أما المتهمون الباقون، الذين رفضوا حق المحكمة العسكرية العرفية في محاكمتهم، فقد احتجوا بأن المحكمة العليا فقط، التي ينشؤها البرلمان العثماني، هي التي يمكن أن تتولى قضيتهم. وقد حُكم على القادة الأربعة الكبار بالإعدام، وحُكم على بعض الآخرين بالسجن خمسة عشر عاماً.

وبصرف النظر عن هؤلاء القياديين المركزيين، فإن بعض "الأمناء المسؤولين" حوكموا أيضاً (من الحادي والعشرين من يونيو ١٩١٩م- إلى العاشر من فبراير ١٩٢٠م). وقد حُكم على المتهمين (من قصطمونو وبولو) بالسجن عشر سنوات، وعلى آخر (من مانيسا) بالسجن عشرة أشهر، بينما تمت تبرئة الباقين. وقد ذكر أمين أدرنة (عبد الغني) أنه لم يُقتَل أي أرمني في مقاطعته، وأنه لم يتم ترحيل الجميع، وأن اللاجئين كافة قد عادوا، وأن ممتلكاتهم قد حُفظت لهم.

ولقد كانت السلطات العثمانية تريد استدعاء كل المسؤولين عن الوفيات للمثول أمام القضاء، وربما لم تكن الأحكام الصادرة مشددة مثلما أراد البعض، كما لم تكن العقوبات كافة بالشدة التي أرادها آخرون؛ ولكن جرت محاكمات، وأدين كثيرون في محاكم عثمانية. وعلى المرء أن يضيف فوراً ويؤكد أن المحتلين الأجانب أرادوا ضحايا أتراكاً، ولاسيما أن المسؤولين المحليين شعروا بضرورة إرضاء القوى المنتصرة، وبذلك تكون عدالة المنتصر ـ ضمن إطار سياسة القوة ـ قد لعبت دوراً مرة أخرى. وقد أزعجت بعض الإعدامات الشعب التركي كثيراً، وقد أراد الحلفاء

في نهاية الأمر عزل وإسكات ومعاقبة كل من تساءل عن مصالح المحتلين، كما لعبت هزيمة الدولة العثمانية في نهاية الحرب، ورد الفعل ضد إخفاق الحكومة السابقة، دوراً أيضاً في قرار إقامة المحاكم وإقرار أحكام بالإدانة؛ ومن ثم، جرت محاكمة ١,٣٩٧ شخصاً، حيث حصل بعضهم على مختلف أنواع الأحكام، بما في ذلك عقوبة الإعدام. وكان المسؤولون النازيون عن الإبادة الجماعية لليهود سيحاكمون على أسباب مختلفة تماماً لإخفاقهم في تنفيذ أوامر الإبادة بشكل فاعل؛ وأما بالنسبة إلى بعض الأتراك الهاربين فقد تم اغتيال بعضهم بعد ذلك من قبل الأرمن(١٦٢).

إن الأحكام العثمانية ليست إثباتاً على وقوع الإبادة الجماعية؛ فمن المستحيل التأكيد أن المحاكمات التي أجرتها المحاكم العرفية العثمانية تمثل نمطاً قضائياً مقبولاً؛ إذ تدخل الحلفاء في كل شيء، بما في ذلك ممارسة القضاء. وقد كان المفوضون الساميون هم الذين يضعون القوائم بأسماء المتهمين، كما مارست بريطانيا على وجه الخصوص ضغطاً كبيراً على الحكومات العثمانية وعلى السلطان فهد الدين(١٦٣) نفسه، الذي هرب في نهاية المطاف من العاصمة (في السادس عشر من نوفمبر ١٩٢٢م) على متن مدمرة بريطانية مع ابنه، حيث توجه أولاً إلى مالطا. ولم يكن بوسع أية سلطة قضائية العمل باستقلالية داخل مبنى محاط بجنود الحلفاء، كما استفاد التأثير الأجنبي من عداوة حزب الاتحاد والترقي لمنافسه السياسي المتمثل في الحكام العثمانيين السابقين. ولم تتم محاكمة أي أرمني قط، لَكِنَّ المتهمين الأتراك حُرموا في العادة من حق الدفاع والاستئناف. فالاعتماد على الأحكام فقط وتنحية كثير من الظروف ذات العلاقة يعد أمراً غير مقبول بكل تأكيد.

---

(١٦٢) على سبيل المثال، طلعت باشا وبهاء الدين شاكر في برلين، وسعيد حليم باشا في روما، وكمال باشا في تبليسي، وأنور باشا في آسيا الوسطى. وللاطلاع على دراسة متوازنة تصور بهاء الدين شاكر كـ"يعقوب التركي"، انظر:

Hikmet Ciçek, **Dr. Bahaddin Sakir**, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2004.

(163) The last Ottoman Sultan under the impasse of the Armistice years: Tarik Mümtaz Göztepe, **Osmanogullarinin Son Padisahi Vahideddin Mütareke Gayyasinda**, Istanbul, Gültepe Yayinlari, 1983.

١٢- الخاتمة

إن كل جزء من القول بأن "الأرمن كانوا رعايا مخلصين يعيشون في وطنهم، حيث شكلوا أغلبية، وأصبحوا هدفاً لإبادة جماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى إنشاء الجمهورية التركية" ما هو إلا كذب منظم. ويصدق الحال كذلك على مختلف "الضحايا"، الذين يفوق ادعاء عددهم في بعض الأحيان عدد الأرمن الذين كانوا يعيشون في الإمبراطورية العثمانية سنة ١٩١٤م كافة. وإن محاولات رفض هذا المنهج الأحادي والمنحاز تواجه في بعض الأحيان اتهامات بـ"مراجعة التاريخ"، وكأن مراجعة تفسير معين أمر مستحيل علمياً. فالعلم مثل بناية تتطلب إصلاحاً دائماً؛ إذ يجب التدقيق في صحة كل النظريات، كما يجب إعادة اختبار صحة التعميمات السابقة. وليس من الدقة العلمية ـ والعدل كذلك ـ وصف، كمراجع للأحداث، كل من يرفضون رؤية تقليدية تحكم على غير المسلمين كضحايا والمسلمين كجلادين.

إن اتهام العثمانيين بإساءة حكم الشعوب غير المسلمة في كنفهم يُعَدُّ طرحاً غير صحيح لتاريخ طويل؛ فالمسلمون الذين يؤمنون بالرسل كافة، بمن فيهم موسى والمسيح، يَعدُّون الإسلام آخر الأديان السماوية وأتمها. والمهم في الموضوع قيد الدراسة هنا هو حقيقة أن الأراضي العثمانية كانت مكاناً للجوء كثير من المضطهدين في العالم القديم. فقد تُرِكَ الأتراك غير المسلمين يحكمون أنفسهم بأنفسهم، مع حرية الاحتفاظ بثقافاتهم، واستعمال لغتهم، والتعبد في صوامعهم، وإدارة مدارسهم، وإنشاء محاكمهم. وقد حافظت كل جالية على تقاليدها بأقل درجة من التدخل من الحكومة المركزية. وإذا كان أي من هؤلاء الأفراد قد عانى، فالسبب يعود بشكل أساسي إلى سوء حكم قادتهم.

ومع ظهور الحركات القومية، استغلت كل جماعة حجة الحكم الذاتي، طالبة الاستقلال بالمناطق التي تضم أكبر الأراضي التي حكموها في أوقات مختلفة، كما أرادوا طرد المسلمين الذين يعيشون في تلك المناطق؛ إذ وقف المسلمون "في طريق" الأقليات التي أرادت إنشاء دولها على أراض شَكَّل المسلمون أغلبية عليها. وقد تكررت سياسة التخلص من الأتراك عبر التطهير العرقي، أو التهجير القسري، خلال عدد

من النزاعات المسلحة وبعدها، وذلك تحت شعار الاستقلال الوطني. ففي البلقان وكريميا والقوقاز، تم طرد المسلمين، وتم إسكان المسيحيين في المناطق الجديدة. ولو كان الأتراك قد فعلوا الأمر نفسه مع الأقليات الأرمنية عندما واجهوها أول مرة، ما كان بوسع المسيحيين البقاء على الأراضي التي عاشوا عليها لقرون.

وقد حظي الأتراك العثمانيون بقليل من الثناء على تقاليدهم في التسامح الديني، لكنهم دفعوا ثمناً باهظاً بسبب ذلك؛ فقد تدخلت حكومات أجنبية مختلفة في الشؤون الداخلية العثمانية، وذلك لحماية الأقليات المسيحية في الظاهر، وقد منح المبشرون الطرف الأخير إحساساً بالشراكة مع القوى الإمبريالية. وبالنسبة إلى العلاقات الأرمنية-التركية أيضاً، فهناك تاريخ للأتراك كضحايا. فقبل فترة طويلة من دخول الأتراك إلى الأناضول، كان الأرمن منتشرين على مساحات واسعة بعيداً عن وطنهم الأصلي في القفقاس؛ بحيث إنهم لم يشكلوا أغلبية في أي مكان في تركيا أو بلاد فارس أو روسيا. وبعد نجاح شعب البلقان، لجأت الحركات القومية الأرمنية إلى دعاية على نطاق واسع وإلى الإرهاب؛ فقد حرضوا على التمرد، وتوقعوا الانتقام، وكانوا يأملون في تدخل أوروبي لإنشاء دولة أرمينيا المستقلة في الشرق. وفي سنة ١٩١٤م، أعدوا لتمرد في أنحاء البلاد كافة لتقويض الجهود الحربية العثمانية. وكان سفك الدم والدمار الذي تسببوا به في الأحياء المسلمة من "وان" شديداً جداً إلى حد اضطرار القادة الروس إلى ترحيلهم إلى الخطوط الخلفية لوقف أعمالهم البربرية. وبينما أرسلت الحكومة العثمانية الأرمن إلى سوريا وفلسطين، فقد اهتمت بمنع حدوث أذى لهم. ولكن الترحيل لم يحدث في وقت كان فيه نقص في التموين فحسب، بل قُتل بعض الأرمن على يدي قطاع الطرق الذين هاجموا القوافل للحصول على غنائم أو للانتقام. وهذه ليست إبادة جماعية خُطِّط لها وتم ارتكابها من قِبَلِ الدولة ضدهم.

كان هنالك سفك دماء، لكن تم اختلاق بعض قصص الرعب، وذلك بناء على اتفاقية وُقِّعت في باريس سنة ١٩١٥م بين ثلاث شخصيات محورية: بوغوس نوبار ممثل القوميين الأرمن، والسير مارك سايكس، مسؤول الشرق الأوسط في مجلس الوزراء البريطاني ورئيس عمليات الشرق الأوسط للاستخبارات البريطانية،

وجيورجيس بيكو من فرنسا. وقد هدفت الدعاية إلى تأمين المساندة الأمريكية للحلفاء ودخول أمريكا الحرب، وأيضاً أعدت المسرح لدولة أمريكية صديقة قبل أن يصدر العدو الروسي أوامره في الشرق ويصبح أقرب إلى البحر المتوسط.

وقد واصل القوميون الأرمن سياسة المبالغة والطرح الخاطئ، حتى بعد الحرب، على أمل أن يكون العالم المسيحي متعاطفاً مع ادعاءاتهم كافة ضد المسلمين. وإن قصص الرعب حول كبار السن من الأرمن، التي نُشرت على نطاق واسع من قبل الكنائس الجريفورية وحزب الداشناغ، كانت إما غير منطقية، وإما جاءت رداً على روايات الجانب التركي. وقد أثرت مشاعر الحزن التي رافقت الادعاءات المبالغ فيها على كثير من الناس، ولاسيما في الولايات المتحدة، من خلال الرهبان والمدارس والصحف والمجلات والطلاب والباحثين الأرمن في الجامعات. وبتكرار التجربة في البلقان، أمل الأرمن في إمكان تقليل عدد المسلمين ودفعهم باتجاه شرقي الأناضول أيضاً.

وقد دعا كتيب نُشر سنة ١٩١٨م بعنوان "القضاء على تركيا" Eliminate Turkey مُوَقَّعٌ من قِبَلِ فاهان كارداشيان، وهو أرمني يعيش في نيويورك، إلى تطبيق الإستراتيجية اليونانية والبلغارية السابقة التي تقوم على الدعاية والإرهاب. وقد كان المقاتلون الأرمن يراهنون على الاستراتيجية السابقة التي نجحت في البلقان. ولكن بخلاف الوقائع الديمغرافية في البلقان، فقد شَكَّلَ الأرمن أقلية فقط، ومجموعة صغيرة أيضاً في شرقي الأناضول، كما أنهم واجهوا ملايين المسلمين الذين هاجروا، أو كانوا أبناء مهاجرين، من البلقان والقوقاز، الذين عرفوا جيداً ما سيحدث لهم لو أنهم ضعفوا أمام التطهير العرقي والهجرة القسرية.

ألم يكن هنالك ذنب للعثمانيين في الكارثة؟ ربما كان هنالك ذنب، لكنه ليس ذنب القيام بالتخطيط لإبادة جماعية، بل الإخفاق في حماية المواطنين، سواء أكانوا أرمن أم مسلمين؛ فقد أصدر القادة العثمانيون أوامر واضحة بحماية أرواح وممتلكات الأرمن الذين سيرحلون، لكن فور أن شاركوا في صراع على البقاء، لم يملك الأتراك المصادر ولا القوة لتنفيذ هذه الأوامر بشكل مرض، كما لم يتمكنوا أيضاً من محاربة مختلف أنواع الأوبئة بشكل فعال، ولا القبض على كل مجرم أو قاطع طريق.

وفي الوقت الذي حاولت فيه القيادة التركية التي جاءت بعد العثمانيين إنشاء جيل جمهوري جديد يتطلع إلى المستقبل، وقررت عدم الحديث عن التجارب خلال سنوات الحرب العظمى، فإن الأرمن نشروا أحداث ١٩١٥م مقرونة بأبشع القصص. فهم يعيشون على الاستفادة النفسية من استمرار الصراع، وكان ذلك بمنزلة عامل استقرار خارجي من حيث الحس بالهوية والسيطرة الداخلية. فبعض الجماعات بحاجة إلى عدو، وليس إلى حلفاء فقط، وذلك من أجل تحديد هويتها. وفي أثناء هذه العملية، فإنها تتعلم كيف تكره من هم خارج المجموعة، بل تخشى خسارتهم أيضاً.

فالجاني الحقيقي كان الإمبريالية، التي عاملت الأقليات في مختلف مناطق العالم وكأنها أدوات لمصالح القوى العظمى والتوسع أو ممارسة التأثير. فعلى سبيل المثال، لعبت فرنسا على وتر الاختلافات بين الأقليات، وقوضت الهوية المشتركة لتقسيم سوريا إلى أربع مناطق، أي العلويين والدروز، وشكلت من دمشق وحلب كيانين منفصلين. كما أن الدول الأوروبية الغربية جندت جماعات عرقية أقلية في قواتها المحلية، مما أدى إلى مزيد من التوتر؛ ففي لبنان، قربت فرنسا إليها المسيحيين المارونيين، بينما اعتمد معظم المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس على العالم العربي. كما أدى وجود الاستعمار الأوروبي إلى تقسيم الأراضي الصومالية إلى خمس مستعمرات مختلفة، وقد تم ذلك مع أن الصومال تُعدُّ على نطاق واسع ذات تجانس عرقي غير معتاد في القارة الأفريقية، وكانت مسألة الوحدة تشغل بال النخبة التي جاءت بعد ذلك لعقود. ولا يزال العراق مسرحاً للقوى الخارجية التي تتبع سياسات توجيه الأقليات العرقية أو الدينية، كما كان عدد من الدول في جنوبي وشرقي آسيا، مثل سري لانكا والصين، أهدافاً للتدخل الخارجي خلال تاريخها الماضي. كما حُدِّدَ دورٌ للأرمن على جدول أعمال القوى العظمى خلال ذروة الحقبة الإمبريالية، وبذلك منحت نهاية الحرب العالمية الأولى للمنتصرين فرصتهم التي انتظروها طويلاً لإعادة تقسيم العالم.

وقد قام الأرمن من ناحيتهم باختيار أحداث سنة ١٩١٥م "كصدمة مختارة" تساعد على إبقاء الصورة الذهنية لديهم، كما ساعد على إبقاء تلك الصورة "المجد المختار"، وهو أيضاً جزء من الهوية نفسها، وتم طرح تلك الأحداث التي تم تغييرها

وإعادة تفسيرها بشكل أسطوري، وتمت صياغتها في شكل هوية، وتناقلها من جيل إلى آخر مع إجراء التعديلات عليها. وقد تختلف الحقيقة التاريخية عن هذه التعديلات، لكن المهم هو الدور المحوري الذي تلعبه "الصدمة المختارة" في هوية المجموعة، ويؤدي هذا الدور إلى الانجذاب نحو العثور على كبش فداء؛ فبالنسبة إلى هتلر كان اليهود هم كبش الفداء؛ أما بالنسبة إلى بعض الأرمن فالأتراك هم كبش الفداء.

وكبش الفداء هو نمط ذو سمات سلبية، وتعزز الصدمة المختارة والمجد المختار الطبيعتين السادية والمازوشية للمجموعة. فلا يوجد تعاطف، ولا مجرد اعتراف، بخسائر العدو المختار، كما أن "الأجزاء غير المرغوب فيها" لإحدى الجماعات قد تقع على كاهل ذلك الكبش. فكل جيل جديد يرث الصدمة المختارة من الجيل السابق يقوم بتحويل الصدمة الأصلية إلى أسطورة ويبني القصص، التي تصبح - مع مرور الوقت - أكثر عاطفية وأقل توافقاً مع الحقائق التاريخية. فكثير من وسائل التعبير الطقوسية، مثل تظاهرات الرابع والعشرين من أبريل، وهو التاريخ المفترض لـ"بدء الإبادة الجماعية ضد الأرمن"، تقدم فرصاً إضافية لدعم الصدمة المختارة وتمريرها مرة أخرى إلى الجيل التالي، حيث تبتعد أكثر عما حدث واقعياً في الماضي.

وهذا الابتعاد يكون شديداً جداً في لحظات الأزمة، وهو ما يعرف نفسياً بـ"هز الخيمة"؛ فقد شعر الأرمن بهذا الاهتزاز في البداية في نهاية الحرب العثمانية الروسية سنة ١٨٧٧-١٨٧٨م، ومرة أخرى - وبشكل أكثر قوة - خلال الحرب العالمية الأولى. وقد تعرضت "الخيمة الأرمنية" إلى هزة أخرى في أثناء الحرب الأهلية في لبنان. وكثير من المسلمين ومفكريهم أُجبروا على إعادة تعريف أنفسهم في أثناء هز نفس الخيمة؛ فصورة "العدو التركي"، التي أصبحت أداة تستخدم كثيراً من قبل بعض الأرمن في الشتات للإبقاء على الذات وسط الاضطراب المتكرر، تخيم على الفوائد المتبادلة للفهم والتعاون التي يجب أن تفوق ما يعرف بـ"إيجابيات" العداوة المستمرة.

١٣- المراجع

Ataöv, Türkkaya, **Ermeni Sorunu: Bibliyografya**, Ankara, A.Ü. Siyasal Bilgiler Fakültesi, 1981.

Hovannisian, Richard G., ed., **The Armenian Holocaust: a Bibliography Relating to the Deportation, Massacres, and Dispersion of the Armenian People: 1915-1923**, Cambridge, Mass., Armenian Heritage Press, 1980.

Ilter, Erdal, **Türk-Ermeni Iliskileri Bibliyografyasi**, Ankara, Ankara Üniversitesi Osmanli Tarihi Arastirma ve Uygulama Merkezi Yayinlari, 1997.

Salmaslian, A., **Bibliographie de l'Arménie, Erevan**, L'Académie des Sciences de la R.S.S. de l'Arménie, 1969.

Vassilian, Hamo B., ed., **The Armenians: a. Colossal Bibliographic Guide to Books Published in the English Language**, Glandale, California, Armenian Reference Books Co., 1993.

كتب بلغات مختلفة:

A Correspondent, **The Armenian Troubles and Where the Responsibility Lies**, New York, n.p., 1895.

Ahmed Rüstem Bey, **La Guerre Mondiale et la question Turco-Arménienne, Berne, 1918. Also in English: The World War and the Turco-Armenian Question.**

Al-meza'lem al-Ermeniyye wa al-Haqa'eq, Ankara, Vaqf al-Deyanet al-Turkiyya, 1983.

Andonian, Aram, **The Memoirs of Naim Bey: Turkish Official Documents Relating to the Deportations and Massacres of Armenians**, London, Hodder and Stoughton, 1920; in French: **Documents officiels concernant les massacres arméniens**, Paris, Delegation Nationale Arménienne, 1920.

Armenian Allegations: Myth and Reality, a Handbook of Facts and Documents, Washington, D.C., The Assembly of Turkish American Associations, 1987.

Armenian Atrocities: A Compilation of Views, Ankara, Ministry of Foreign Affairs, 1999.

Armenian Atrocities and Terrorism: Testimonies of Witnesses, Washington, D. C, The Assembly of Turkish American Associations, 1997.

Armenian Claims and Historical Facts, Ankara, Center for Strategic Research, 1998.

Armenians in Ottoman Documents: 1915-1920, Ankara, Directorate of Ottoman Archives, 1995; in Turkish: **Osmanli Belgelerinde Ermeniler: 1915-1920.**

Armenians in the Ottoman Empire and Modern Turkey: 1912-1926, Istanbul, Bogaziçi University, 1984.

Armenian Terrorism and the Paris Trial; Terrorisme arménienne et procés de Paris, Ankara, Ankara University, 1984.

Aspirations et agissements révolutionnaires des comités arméniens avant et aprés la proclamation de la Constitution Ottomane, Constantinople, 1917. Tr. into Ottoman Turkish: **Ermeni Komiteleri'nin Amal ve Harekat-i Ihtilaliyesi: I'lân-i Mesrutiyet'ten Evvel ve Sonra**, Istanbul, Matbaa-i Orhaniye, 1332 [1916]; in contemporary Turkish: Ermeni Meselesi ve Türkiye, ed., Abdullah Yaman, Istanbul, Otag Yayinlari, 1973. Other summaries or simplified editions: **Ermeni Komitelerinin Ihtilâl Hareketleri ve Besledikleri Emeller**, ed., Ismet Parmaksizoglu, Ankara, Kültür Bakanligi, 1981; **Ermeni Terörünün Tarihçesi: Ermeni Komitelerinin Emelleri ve Ihtilâl Hareketleri**, ed., Enver Yasarbas, Istanbul, Petek Yayinlari, 1984.

Ataöv, Türkkaya, **A Brief Glance at the "Armenian Question"**, Ankara, Ankara Chamber of Commerce, 1984. In other languages: **Un Bref apercu de la "question arménienne"; Al-Mas'ala al-Ermeniyye; Breve Ojeada a la "Cuestión Armenia".**

Ataöv, Türkkaya, **A British Report (1895): "The Armenians Unmasked"**, Ankara, Sevinç Matbaasi, 1985. In other languages: **Un Rapport anglais (1895): "Les Arméniens démasqués"; Un Informe Británico (1895): "Los Armenios Desenmascarados".**

Ataöv, Türkkaya, **A British Source (1916) on the Armenian Question**, Ankara, Sistem Ofset, 1985. In other languages: **Une Source britannique (1916) relative á la question armenienne; Un Testimonio Británico (1916) sobre la Cuestión Armenia.**

Ataöv, Türkkaya, **An American Source (1895) on the Armenian Question**, Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Une Source americaine (1895) relative a la question arménienne: Eine amerikanische Quelle (1895) Zusammenhang mit der Armenier; Testimonio de un Americano (1895) sobre la Cuestión Armenia.**

Ataöv, Türkkaya, **An Armenian Author on "Patriotism Perverted"; Un Auteur ar-**

ménien s'exprime sur le "Patriotisme Perverti"; Ein armenischer Autor über "Patriotismus Missbraucht", Ankara, Sistem Ofset, 1985. In Spanish: **Un Autor Armenio Opina sobre el "Patriotismo Pervertido".**

Ataöv, Türkkaya, **An Armenian Source: Hovhannes Katchaznouni; Une Source arménienne: Hovhannes Katchaznouni; Eine armenische Quelle: Hovhannes Katchaznouni; Fuente Armenia:. Hovhannes Katchaznouni**, Ankara, Sistem Ofset, 1984.

Ataöv, Türkkaya, **Another Falsification: "Statement" (1926) Wrongly Attributed to Atatürk**, Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Une Autre falsification: la "déclaration"(1926) faussement attributé á Atatürk; Otras Falsificaciones: 'Declaraciones' (1926) Erróneamente Atribuidas a Atatürk.**

Ataöv, Türkkaya, **A 'Statement' Wrongly Attributed to Mustafa Kemal Atatürk**, Ankara, Siyasal Bilgiler Fakültesi, 1984; Ankara Sistem Ofset, 1985. In other languages: **Une "Declaration" faussement attributé a Mustafa Kemal Atatürk; Errónea 'Declaración' Atribuida a Mustafa Kemal Atatürk.**

Ataöv, Türkkaya, **Deaths Caused by Disease, in Relation to the Armenian Question; Les Décés relevant de maladies, en relation avec la question arménienne**, Ankara, Sistem Ofset, 1985. In German: **Die zur Zeit der Armenierfrage durch Krankheiten Verstorbenen.**

Ataöv, Türkkaya, **Documents on the Armenian Question: Forged and Authentic**, Ankara, Barok Ofset, 1985. In other languages: **Documents se rapportant á la question arménienne; Documents falsifiés et authentiques; Gefälschte und authentische Dokumente zur Armenischen Frage: Documentos sobre la Cuestión Armenia: Falsificados y Autenticos; Al-wathaek al-muzawwarah wa'l haqeqeyyah hawla mas'ala't al-Ermen.**

Ataöv, Türkkaya, **Hitler and the "Armenian Question"; Hitler et la "question arménienne"**, Ankara, Sistem Ofset, 1985. In other languages: **Hitler y a Cuestión Armenia"; Hitler wa "al-mas'ala al-ermeniyye".**

Ataöv, Türkkaya, **The Andonian Documents Attributed to Talat Pasha are Forgeries; Les "Documents" d'Andonian, attribués a Talat Pacha, sont des faux; Die Talat Pascha zugeschriebenen Andonianischen "Dokumente" sind Fälschungen**, Ankara, Siyasal Bilgiler Fakültesi, 1984; Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Talât Pasa'ya Atfedilen Andonian 'Belgeler'i Sahtedir; Talât Pasayin Verakirvatz Andoniani Vaveratugteri Gedz Yen; Zaif Watha'ek Andonian**

ajlatee nisoobat hata'en ilaa Tal'aat Basha; Esnadi Andonian kaabe Talat Pasha mantasab shuda sahtekee est; Los "Documentos" Andonianos atribuidos a Talat Pasha, son falsificaciones!; De Andonian "Documenten", Welke Aan Talat Pasha Worden Toegeschreven, Zijn Bedrog.

Ataöv, Türkkaya, **The 'Armenian Question': Conflict, Trauma & Objectivity**, 2nd p., Ankara, Ministry of Foreign Affairs, Center for Strategic Research, 1999. In Spanish. **La 'Cuestión Armenia': Conflicto, Trauma y Objetividad.**

Ataöv, Türkkaya, **The Ottoman Archives and the Armenian Question**, Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Les Archives ottomanes et la question arménienne; Osmanische Archive und die Armenierfrage.**

Ataöv, Türkkaya, ed., **The Armenians in the Late Ottoman Period**, Ankara, The Turkish Historical Society for the Council of Culture, Arts and Publications of The Grand National Assembly of Turkey, 2001.

Ataöv, Türkkaya, **The Reports (1918) of Russian Officers on Atrocities by Armenians**, Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Les Rapports (1918) des officiers russes sur les atrocités commises par les Arméniens; Die Berichte (1918) von russischen Offizieren über die Grausamkeiten der Armenier; Informes (1918) de Oficiales Rusos sobre las Atrocidades Cometidas por Armenios; Teqarir (1918) al-dobbat al-Rus hawla al-methalim al-ermeniyye.**

Ataöv, Türkkaya, **An Armenian Falsification**, Ankara, Sevinç Matbaasi, 1985; Ankara, Renk Ofset, 1985. In other languages: **Une Falsification arménienne; Eine armenische Heuchelei; Una falsificación Armenia; Hayganan Hartahujoon; Hila Ermeniyye.**

Ataöv, Türkkaya, **What Really Happened in Geneva: the Truth About the 'Whitaker Report**, Ankara, Sistem Ofset, 1986. In other languages: **Genf - was passierte in wirklichkeit: Die Wahrheit über die 'Whitaker Berichte'; Ce qui s'est réellement passé a Genéve: La vérité au sujet du 'Rapport Whitaker'; Lo Que Ocurrio Realmente en Ginebra: La Verdad sobre el 'informe Whitaker': Mellethi hadethe haqiqaten fee Djenev: Al-Haqiqa Hawla'Taqrir Whitaker'.**

Dixon-Johnson, C.F., **The Armenians**, Blackburn, G. Toulmin and Sons, 1916.

Djemal Pasha, **Memories of a Turkish Statesman: 1913-1919**, London, Hutchinson & Co., [1922]; tr. from Cemal Pasa, **Hatirat: 1913-1922**, Istanbul, 1922; **Hatiralar**, ed., Behçet Cemâl, Istanbul, Çagdas Yayinlari, 1977.

Feigl, Erich, **A Myth of Terror: Armenian Extremism, Its Causes and Its Historical Context**, Salzburg, Edition Zeitgeschicht-Freilassing, 1986. In other languages: **Ein Mythos des Terrors: Armenischer Extremismus: Seine Ursachen und Hintergrunde; Un Mythe de la terreurs: le terrorisme Arménien-ses origines et ses causes.**

Gürün, Kamuran, **The Armenian File: the Myth of Innocence Exposed**, London, Weidenfeld & Nicholson in association with K. Rustem & Brother, 1985; in French: **Le Dossier Arménien**, Paris, Triangle, 1984; in Turkish: **Ermeni Dosyasi**, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1985.

Halaçoglu, Yusuf, **Facts on the Relocation of Armenians: 1914-1918**, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2002.

Hyland, Francis P., **Armenian Terrorism: the Past, the Present, the Prospects**, Oxford, Westview Press, 1991.

International Symposium on the Recent History of Van, Ankara, Yüzüncü Yil University, 1994. In Turkish: **Yakin Tarihimizde Van Uluslararasi Sempozyumu.**

International Terrorism and the Drug Connection, Ankara, Ankara Üniversitesi Rektörlügü, 1984; in French: **Le Terrorisme international et le trafic de stupefiants**; in Turkish: **Uluslararasi Terörizm ve Uyusturucu Madde Kaçakçiligi.**

Kara Schemsi [Resid Saffet Atabinen], **Les Turcs et la question d'Arménie**, Genéve, Impr. P. Richter, 1918.

Kara Schemsi, **Turcs et Arméniens devant l'histoire**, Genéve, Impr. Nationale, 1919.

Karacakaya, Recep, **A Chronology of the Armenian Problem with a Bibliography: 1878-1923**, Ankara, Prime Ministry General Directorate of State Archives, 2002.

Kars and Eastern Anatolia in the Recent History of Turkey, Ankara, the Governor's Office of Kars and Atatürk University, 1994. In Turkish: **Yakin Tarihimizde Kars ve Dogu Anadolu Sempozyumu.**

Korganoff, General G., **La Participation des Arméniens á la guerre mondiale sur les front du Caucase, 1914-1918**, Paris, Impr. Massis, 1927.

Korkmaz, Ramazan, **The Armenian Question in General and the Armenian Atroc-**

ity in Cildir as Narrated by Living Eyewitnesses, Ankara, Kök Yayinlari, 1993.

Krikorian, Mesrob K., **Armenians in the Service of the Ottoman Empire: 1860-1908**, London, Routledge and Kegan Paul, 1978.

Kurz, Anat and Ariel Merari, **Asala: Irrational Terror or Political Tool**, Jerusalem, Jerusalem Post Press, 1985.

Laciner, Sedat and Ibrahim Kaya, **The Armenian Issue and the Jews**, London and Ankara, Turkish-American Relations National Committee and the Institute for Armenian Research, 2003.

Langer, William L., **The Diplomacy of Imperialism: 1890-1902**, New York, Alfred A. Knopf, 1968.

Lewy, Guenter, **The Armenian Massacres in Ottoman Turkey: A Disputed Genocide**, Salt Lake City, The University of Utah Press, 2005.

Lowry, Heath W., **The Story Behind Ambassador Morgenthau's Story**, Istanbul, The ISIS Press, 1990. In other languages: **Les Dessous des memoires de l'Ambassadeur Morgenthau; Die Hintergrunds-geschichte zu Botschafter Morgenthaus Memoiren; Büyükelçi Morgenthau'un Oyküsünün Perde Arkasi.**

McCarthy, Justin and Carolyn McCarthy, **Who Are Turks? A Manual for Teachers**, New York, The American Forum for Global Education, 2003.

Maleville, Georges de, **La Tragédie Arménienne de 1915**, Paris, Editions Lanore, 1988. In Turkish: **Sözde Ermeni Trajedisi**, tr. Galip Ustün, Istanbul, Yilmaz Yayinlari, 1991.

Mayéwski [General], **Les Massacres d'Arménie: statistiques des provinces de Van et de Bitlis**, Petersburg, l'Imprimerie Militaire, 1916. In other languages: **Massacres by the Armenians Against the Turks; Ermenilerin Yaptiklari Katliamlar.**

McCarthy, Justin, **Death and Exile: the Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims, 1821-1922**, Princeton, New Jersey, The Darwin Press, Inc., 1995.

McCarthy, Justin, **Muslims and Minorities: the Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire**, New York and London, New York University Press, 1983; in Turkish: **Osmanli Anadolu Topraklarindaki Müslüman ve Azinlik Nüfus**, tr. Ihsan Gürsoy, Ankara, Genelkurmay Baskanligi Yayinlari, 1995.

McCarthy, Justin, **The Ottoman Peoples arid the End of Empire**, London and New York, Arnold and Oxford University Press, 2001.

McCarthy, Justin and Carolyn McCarthy, **Turks and Armenians: a Manual on the Armenian Question**, Washington, D. C, The Assembly of Turkish American Association,1989.

Morgenthau, Henry, **Ambassador Morgenthau's Story**, New York, Doubleday, Page and Doran, 1926; in French: **Mémoires de l'ambassadeur Morgenthau**, Paris, Payot, 1919.

Moser, Pierre A., **Les Arméniens: ou est la realite?** Saint-Aquilind-de-Pacy (Eure), Editions Mallier, 1980.

Orel, Sinasi and Süreyya Yuca, **The Talât Pasha Telegrams: Historical Facts or Armenian Fiction**, London, Oxford University Press, 1986. In other languages: **La Vérité sur les telegrammes attribués par les Arméniens a Talât Pacha**, Paris, Triangle, 1986; **Ermenilerce Talât Pasa'ya Atfedilen Telgraflarin Gerçek Yüzü.**

Ottoman Archives, **Yildiz Collection: the Armenian Question, I-III**. Istanbul, Tarihi Arastirmalar ve Dokümantasyon Merkezleri Kurma ve Gelistirme Vakfi, 1989.

Özkaya, Inayetullah Cemal, **Le Peuple arménien et les tentatives de reduire le peuple Turc en servitude**, Istanbul, Belgelerle Türk Tarihi Dergisi, 1971.

Papazian, K. S., **Patriotism Perverted: Armenian Revolutionary Federation**. Boston, Baikar Press, 1934.

Pasdermadjian, Garo, **Armenia: a Leading Factor in the Winning of the War**, tr. A.Torossian, New York, American Committee for Armenia, 1919.

Pasdermadjian, G., **Why Armenia Should Be Free? Armenia's Role in the Present War**, Boston, Hairenik Publishing Company, 1918.

Sonyel, S. R., **Armenian Terrorism: a Menace to the International Community**, London, Cyprus Turkish Association, 1985.

Sonyel, Salahi R., **Turkey's Struggle for Liberation and the Armenians**, Ankara, Center for Strategic Research, 2001.

Sonyel, Salahi, **The Great War and the Tragedy of Anatolia: Turks and Armenians**

in the Maelstrom of Major Powers, Ankara, Turkish Historical Society, 2000.

Sonyel, Salahi R., **Displacement of the Armenians: Documents; Le Deplacement des populations arméniennes: Documents; Ermeni Tehciri ve Belgeler**, Ankara, Baylan Matbaasi, 1978.

Sonyel, Salahi, **Hornus-Sonyel Correspondence on the Armenian Question**, London, Cyprus Turkish Association, 1983.

Sonyel, Salahi, **Minorities and the Destruction of the Ottoman Empire**, Ankara, Turkish Historical Society, 1993.

Sonyel, Salahi, **The Ottoman Armenians: Victims of Great Power Diplomacy**, London, K. Rustem and Brother, 1987.

Setting the Record Straight on Armenian Propaganda Against Turkey, Ankara, n. p., 1982; in French: **Mise au point sur la propagande Arménienne contre la Turquie**; in Turkish: **Türkiye Aleyhindeki Ermeni Propagandasi ve Gerçekler**.

Simsir, Bilâl N., **Apercu historique sur la question arménienne**, Ankara, Société Turque d'Histoire, 1985.

Simsir, Bilâl N., ed., **British Documents on Ottoman Armenians**, Vols. I-IV, Ankara, Turkish Historical Society, 1982-1990.

Simsir, Bilâl N., ed.. **Documents diplomatiques ottomans**, I-II, Ankara, Société Turque d'Histoire, 1983-1989.

Simsir, Bilâl N., **The Deportees of Malta and the Armenian Question**, Ankara, Foreign Policy Institute, 1984; 1985. In other languages: **Les Déportés de Malte et les allegations arméniennes; Malta Sürgünleri**.

Simsir, Bilâl N., **The Genesis of the Armenian Question**, Ankara, Turkish Historical Society, 1984; 1985.

Tashji, Edward, **Armenian Allegations: The Truth Must Be Told**, USA, Rose International Publishing House, 2004.

Terrorist Attack at Orly: Statements and Evidence Presented at the Trial: February 19-March 2, 1985, Ankara, Ankara University, Faculty of Political Science, 1986. In other languages: **Procés de l'attentat d'Orly: 19 février-2 mars 1985, dépositions et plaidoirie; Orly Attentat Gerichtsverhandlung: 19. Februar-2.**

Marz 1985, Zeugenaussagen und Plädoyers der Anwälte; Atentado Terrorista en Orly: Declaraciones y pruebas presentadas en el juicio, 19 de febrero, al 2 de marzo de 1985; Attentato Terrorista a Orly: Testimonianze e prove presentate al processo, 19 Febbraio-2 Marzo 1985; Hudjoum Orli al-Irhabi: Bayanat al-Shuhoud wa al-Mahami 19 Shubat-2 Athar 1985; Orly Saldirisi Davasi: 19 Subat-2 Mart 1985, Sahit ve Avukat Beyanlari.

The Eastern Question: Imperialism and the Armenian Community, Ankara, Türk Kültürünü Arastirma Enstitüsü, 1987.

The Ministry of Interior, **The League of Nations, and the Greeks and Armenians in Turkey**, Constantinople, Imp. A. Ihsan, 1921. In Turkish: **Cemiyet-i Akvam ve Türkiye'de Ermeni ve Rumlar**, Istanbul, 1337 (1921).

The National Congress of Turkey, **The Turco-Armenian Question: the Turkish Point of View**, Constantinople, Société Anonyme de Papeterie et d'Imprimerie, 1919.

The Turco-Armenian Question: Turkish Point of View, Constantinople, The National Congress of Turkey, 1919; **Belgelerin Isiginda Türk-Ermeni Meselesinin Içyüzü**, Istanbul, Ünsal Nesriyat, 1975.

Turabian, Aram, **Les Volontaires arméniens sous les drapeaux français**, Marseilles, Impr. Nouvelle, 1927.

Türk Ermenilerinden Gerçekler/Facts from the Turkish Armenians/Réalités exprimées par les Arméniens turcs, Istanbul, Jamanak,1980.

Türközü, H. Kemal [Erdal Ilter], ed., **Armenian Atrocity According to Ottoman and Russian Documents**, Ankara, Institute for the Study of the Turkish Culture, 1983; in Turkish: **Osmanli ve Sovyet Belgeleriyle Ermeni Mezalimi.**

Uras, Esat, **The Armenians in History and the Armenian Question**, Istanbul, Documentary Publications, 1988; in Turkish: **Tarihte Ermeniler ve Ermeni Meselesi**, Istanbul, Belge Yayinlari, 1987.

Yürükel, Sefa M., **The History of Genocide: I**, tr. Gozde Asçiogullari and Mehmet Ratip, Nicosia, Near East Publishing, 2004.

Weems, Samuel A., **Secrets of a Christian Terrorist State**, Dallas, TX, St. John Press, 2002.

Zeidner, Robert F., **The Tricolor over the Taurus: 1918-1922**, Ankara, Turkish Historical Society, 2005.

* * *

مراجع باللغة التركية:

Akant, Ilhan, **Osmanli Arsivlerinin Önemi ve 1915 Olaylari**, Istanbul, Galatasaray Üniversitesi, 1998

Akbulut, Yilmaz, **Ermeniler ve Bingöl'de Ermeni Tehcirleri**, Ankara, Kültür Bakanligi, 1998.

Akçam, Taner, **Insan Haklari ve Ermeni Sorunu: Ittihat ve Terakki'den Kurtulus Savasi'na**, Ankara, Imge Kitabevi, 1999.

Akçam, Taner, **Türk Ulusal Kimligi ve Ermeni Sorunu**, Istanbul, Iletisim Yayinlari, 1992.

Akçora, Ergünöz, **Van ve Cevresinde Ermeni Isyanlari: 1896-1916**, Istanbul, Türk Dünyasi Arastirmalari Vakfi, 1994.

Akgün, Seçil, **General Harbord'un Anadolu Gezisi ve (Ermeni Meselesine Dair) Raporu: Kurtulus Savasi Baslangicinda**, Istanbul, Tercüman Tarih Yayinlari, 1981.

Altinay, Ahmet Refik, **Kafkas Yollarinda**, ed. Yunus Zeyrek, Ankara, Kültür Bakanligi, 1981.

Asaf, Mehmed, **1909 Adana Ermeni Olaylari ve Anilarim**, ed., Ismet Parmaksizoglu, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1982.

Askeri Tarih Belgeleri Dergisi, Nos. 81-111, Ankara, Genelkurmay Askeri Tarih ve Stratejik Etüt Baskanligi, 1982-2001.

Ata, Ferudun, **Isgâl Istanbul'unda Tehcir Yargilamalari**, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2005.

Ataöv, Türkkaya, ed., **Osmanli'nin Son Döneminde Ermeniler**, Ankara, T.B.M.M. Kültür, Sanat ve Yayin Kurulu için Türk Tarih Kurumu, 2001.

Babacan, Hasan, **Mehmet Talât Pasa: 1874-1921**, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2005.

Bayur, Yusuf Hikmet, **Ermeni Meselesi**, Vols. I-II, Istanbul, Yeni Gün Haber Ajansi, 1998.

Besinci Askeri Tarih Semineri Bildirileri, I, Ankara, Genelkurmay Baskanligi Yayinlari, 1996.

Bildirici, Yusuf Ziya, "Adana'da Ermenilerin Yaptigi Katliamlar ve Fransiz-Ermeni Iliskileri" (unpublished PhD. dissertation), Kayseri, Erciyes Üniversitesi, 1995.

Çalik, Ramazan, **Alman Kaynaklarina Göre II. Abdülhamid Döneminde Ermeni Olaylari**, Ankara, Kültür Bakanligi, 2000.

Cark, R. Y. G., **Türk Devleti Hizmetinde Ermeniler: 1453-1953**, Istanbul, Yeni Matbaa, 1953.

Çiçek, Hikmet, **Dr. Bahattin Sakir: Ittihat ve Terakki'den Teskilati Mahsusa'ya Bir Türk Jakobeni**, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2004.

Demiroglu, Faiz, **Van'da Ermeni Mezalimi: 1895-1920**, Ankara, Türk Kültürünü Arastirma Enstitüsü, 1985.

Dilan, Hasan, **Fransiz Diplomatik Belgelerinde Ermeni Olaylari: 1914-1918**, 3 Vols., Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2005.

Göyünç, Nejat, **Osmanli Idaresinde Ermeniler**, [Istanbul,] Gültepe Yayinlari, 1983.

Hatipoglu, Süleyman, **Fransa'nin Çukurova'yi Isgâli ve Pozanti Kongresi**, Ankara, Kültür Bakanligi, 1989.

Hüseyin Nazim Pasa, **Ermeni Olaylari Tarihi**, Vols. I-II, Ankara, Devlet Arsivleri Genel Müdürlügü, 1998.

Ilter, Erdal, **"Ermeni Mes'elesi"nin Perspektifi ve Zeytun Isyanlari: 1780-1880**, Ankara, Türk Kültürünü Arastirma Enstitüsü, 1988.

Ilter, Erdal, **Ermeni Propagandasinin Kaynaklari**, Ankara, Kamu Hizmetleri Arastirma Vakfi Yayinlari, 1994.

Ilter, Erdal, **Içel'de Ermeni Faaliyetleri**, Ankara, Güven Matbaasi, 1974.

Istepanyan, Torkom, **Hepimize Bir Bayrak**, Istanbul, Tarla Yayinevi, 1967.

Kaçaznuni, Ovanes, **Tasnak Partisinin Yapacagi Bir Sey Yok**, tr. Arif Acaloglu, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2005.

Kahramanmaras I. Kurtulus Sempozyumu, Ankara, Kahramanmaras Belediyesi, 1987.

Karabekir, Kâzim, **Ermeni Dosyasi**, ed., Faruk Özerengin, Istanbul, Emre Yayinlari, 1994.

Karaca, Taha Niyazi, **Ermeni Sorununun Gelisim Sürecinde Yozgat'ta Türk Ermeni Iliskileri**, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2005.

Kasgarli, Mehlika Aktok, **Kilikya Tâbi Ermeni Baronlugu Tarihi**, Ankara, Kök Yayinlari, 1990.

Kiliç, Davut, **Osmanli Idaresinde Ermeniler Arasindaki Dinî ve Siyasî Mücadeleler**, Ankara, Avrasya Stratejik Arastirmalar Merkezi, 2000.

Konukçu, Enver, **Ermenilerin Yesilyayla'daki Türk Soykirimi**, Erzurum, Atatürk Üniversitesi, 1990.

Küçük, Cevdet, **Osmanli Diplomasisinde Ermeni Meselesinin Ortaya Çikisi: 1878-1897**, Istanbul, Istanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, 1984.

McCarthy, Justin, **Ermeni Sorunu Gerçegi: Konferans (Conference on the Reality of the Armenian Question)**, Ankara, T.B.M.M., 2005.

Öke, M. Kemâl, **Ermeni Meselesi: 1914-1923**, Istanbul, Aydinlar Ocagi Yayinlari, 1986.

Saib, Ali, **Kilikya Facialari ve Urfa'nin Kurtulus Mücadeleleri**, Ankara, 1340 [1924];. in contemp. Turkish: **Çukurova Facialari ve Urfa'nin Kurtulusu**, Istanbul, Kastas Yayinlari, 1988.

Sakarya, Ihsan, ed., **Belgelerle Ermeni Sorunu**, Ankara Genelkurmay Askeri Tarih Yayinlari, 1984.

Solmaz, Gürsoy, **Yasayanlarin Dilinden Erzurum-Sarikamis-Kars'ta Ermeni Zulmü: 1918-1920**, Van, Yüzüncü Yil Üniversitesi, 1995.

Süslü, Azmi, **Ermeniler ve 1915 Tehcir Olayi**, Ankara, Yüzüncü Yil Üniversitesi, 1990.

Süslü, Azmi, Gülay Ogün, M. Törehan Serdar, **Van, Bitlis, Mus ve Kars'taki Ermeni Katliamlari: Gazilerle Mülakat**, Van, Yüzüncü Yil Üniversitesi, 1994.

Sahinbey Semineri Bildiri Kitabi, Ankara, ODTÜ Gaziantep Mühendislik Fakültesi Yayinlari, 1988.

Simsir, Bilâl N., **Osmanli Ermenileri**, Ankara, Bilgi, 1986.

Talât Pasa, **Talât Pasa'nin Hatiralari**, Istanbul, Yenigün Haber Ajansi, 1998.

Tarih Boyunca Türklerin Ermeni Toplumu ile Iliskileri, Erzurum, Atatürk Üniversitesi, 1985.

Tarihten Güncellige Ermeni Sorunu: Tahliller, Belgeler, Kararlar, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 2001.

Timur, Taner, **1915 ve Sonrasi: Türkler ve Ermeniler**, Ankara, Imge Kitabevi, 2000.

Tuncay, Mete, ed., **Cihat ve Tehcir: 1915-1916 Yazilari**, Istanbul, 1991.

T.C. Genelkurmay Baskanligi, **Geçmisten Bugüne Türk-Ermeni Iliskileri**, Ankara, Genelkurmay Basimevi, 1989.

Türk Tarihinde Ermeniler, Ankara, Kars Kafkas Üniversitesi Rektörlügü, 1995.

Türk Tarihinde Ermeniler Sempozyumu: Tebligler ve Panel Konusmalari, Izmir, Dokuz Eylül Üniversitesi Rektörlügü, 1983.

Uluslararasi Terörizm ve Gençlik Sempozyumu Bildirileri, Sivas, Cumhuriyet Üniversitesi, 1986.

Urfali Mateos Vekayi-Namesi (952-1136) ve Papaz Grigor'un Zeyli (1136-1162), tr. Hrant D. Andreasyan, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 1962.

335-336 (1919-1920) Seneleri Kafkasya'da Islâmlara Karsi Icra Olundugu Taayyün Eden Ermeni Mezalimi, Kars, T.B.M.M. Hükümeti Sark Cephesi Kumandanligi, 327 [1921].

Yakin Tarihimizde Van Uluslararasi Sempozyumu, Ankara, Yüzüncü Yil Üniversitesi Rektörlügü Yayinlari, 1990.

Yurtsever, Cezmi, **Çukurova'da Türkler'in Soykirima Ugradigi Bir Yer: Yesiloba**, Ankara, Köksav Yayinlari, 1990.

Yurtsever, Cezmi, **Kalekilise: Hacin (Saimbeyli) Soykiriminin Dehset Yeri**, Ankara, Kamu Hizmetleri Arastirma Vakfi, 1995.

مراجع أخرى:

Ahmed, Feroz, "Unionist Relations with the Greek, Armenian and Jewish Communities of the Ottoman Empire, 1908-1914", B. Braude and B. Lewis, eds., **Christians and Jews in the Ottoman Empire**, I, New York, 1982, pp. 401-434; in Turkish: Feroz Ahmed, 'Ittihatçilar'in Osmanli Imparatorlugu'ndaki Rum, Ermeni ve Yahudi Cemaatleriyle Olan Iliskileri, 1908-1914", çev. Fatmagül Berktay, **Ittihatçilikten Kemalizme**, Istanbul, Kaynak Yayinlari, 1985.

Aksin, Sina, "A General Appraisal of the Armenian Issue", **Turkish Review: Quarterly Digest**, Ankara, 1/4 (Summer 1986), pp. 49-67.

Ataöv, Türkkaya, "Removing Misconceptions About Turkish-Armenian **Relations**", Perceptions, Ankara, II/2 (June-August 1997), pp. 42-48.

Ataöv, Türkkaya, "Some Publications on the 'Armenian Question'", **TBMM Journal**, Ankara, 4 (April 1987), pp. 30-34.

Ataöv, Türkkaya, "Turkish Perceptions of Terrorism", **The 1986 Annual on Terrorism**, ed., Yonah Alexander, Dordrecht, The Netherlands, Marunus Nijhoff Publishers, 1987, pp. 101-108.

Corsun, Andrew, "Armenian Terrorism: a Profile", **U.S. Department of State Bulletin**, August 1982, pp. 31-35.

Gunter, Michael M., "The Armenian Terrorist Campaign Against Turkey", **Orbis**, XXVII/2 (Summer 1983), pp. 447-477.

Karpat, Kemal, "Ottoman Population Records and the Census of 1881/2-1893", **International Journal of Middle East Studies**, IX/2 (May 1978), pp. 237-274.

Lowry, Heath W., "Richard G. Hovannisian on Lieutenant Robert Steed Dunn: a Review Note", **The Journal of Ottoman Studies**, V (1986), pp. 209-252.

Lowry, Heath W., "The U.S. Congress and Adolf Hitler on the Armenians", **Political Communication and Persuasion**, New York, III/2 (1985), pp. 111-140.

McCarthy, Justin, "The Report of Niles and Sutherland: an American Investigation of Eastern Anatolia after World War I", **XI. Türk Tarih Kongresi**, Ankara, 1994, pp. 1809-1852.

Pasdermadjian, Garo, "Armenia: a Leading Factor in the Winning of World War I", **The Armenian Review**, Boston, XVII (1964), pp. 24-45.

Salt, Jeremy, "A Precarious Symbiosis: Ottoman Christians and Foreign Missionaries in the Nineteenth Century", **International Journal of Turkish Studies**, University of Wisconsin, III/2 (Winter 1985-86), pp. 53-67.

Shaw, Stanford J., "Ottoman Population Movements during the Last Years of the Empire: 1885-1914, Some Preliminary Remarks", **The Journal of Ottoman Studies**, I (1980), pp. 191-205.

Sonyel, Salâhi R., "Armenian Deportations: a Reappraisal in the Light of New Documents", **Belleten**, Ankara, XXXVI/141 (January 1972), pp. 51-69; in Turkish: "Yeni Belgelerin Isigi Altinda Ermeni Tehcirleri", **ibid.**, pp. 31-49.

Sonyel, Salâhi R., "How Armenian Propaganda Nurtured a Gullible Christian World in Connection with the Deportations and Massacres", **Belleten**, Ankara, XLI/161 (January 1977), pp. 157-175; in Turkish: "Tehcir ve Kirimlar Konusunda Ermeni Propagandasi Hiristiyanlik Dünyasini Nasil Aldatti", **ibid.**, pp. 137-156.

Sonyel, Salâhi R., "The Turco-Armenian Adana Incidents in the Light of Secret British Documents: July 1908-December 1909", **Belleten**, Ankara, LI/201 (December 1987), pp. 1291-1338; in Turkish: "Ingiliz Gizli Belgelerine Göre Adana'da Vuku Bulan Turk-Ermeni Olaylari: Temmuz 1908-Aralik 1909", **ibid.**, pp. 1241-1289.

Sonyel, Salâhi R., "Turco-Armenian Relations and British Propaganda during the First World War", **Belleten**, Ankara, 222 (August 1994), pp. 381-449.

* * *